٥

أنشودة الصبر

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾

[سورة الليل]

«مكة.. لا يزال الظلام يرين عليها وعلى ما حولها، إلا من شعاع الضوء الهادى الذى أتى به محمد عليه السلام.. صدور قريش بالغة الضيق والشنآن من دعوته.. لا تجد سبيلاً لمقاومتها والكيد لها إلا طرقته..

بظاهر الكعبة.. منتدى لقريش يضم لفيفًا من القرشيين يتسامرون.. فيهم عقبة بن أبى معيط، وأمية بن خلف.. وآخرون.. يسخر بعضهم من محمد ودعوته..».

عقبة بن أبى معيط: (لأمية بن خلف ساخرًا) تسخر من محمد ، وتنكر عليه دعوته.. وعبدك على دينه؟!!

أمية بن خلف : (يردد مدهوشًا) عبدى على دينه ؟!.. ماذا تقول يا عقبة؟!

عقبة : (مستنكرًا) أما بلغك خبر عبدك بلال بن رباح يا أمية؟!

أمية : (يردد مذهولاً) تابع محمدًا؟!

عقبة : أجل واللات والعزى؟!! (مستأنفًا) قد شاهدته بنفسى يختلف إلى محمد فى قائلة النهار أحيانًا.. وفى ظلمة الليل آنًا.. وعاينت من حذره واستخفائه ما رابنى فيه ودعانى لتسقط أخباره.. (آسيًا) فهالنى ما علمت من أمره.. لقد دخل فيما يدعو إليه محمد، وانخرط فيما تهاوى فيه كثيرون من قومنا!

أمية : (منكرًا) أحقًا ما تقول.. أعلى بينة أنت مما قذفتنا به؟!

عقبة : لو لم أكن قد تيقنت مما نفضته عليك من خبر ـ ما قلته لك..

«القرشيون يهمهمون استنكارًا»

أمية : لعل الأمر قد اختلط عليك؟!..

عقبة : (منكرًا) لا واللات والعزى.. (مؤكدًا) لقد دخل عبدك بلال

فيما يدعو إليه محمد، ولولا أننى على بينة وتيقنت من الأمر
– ما رويت لك ما رويت!..

أمية : (مغيظًا) تبًا له هذا العبد الأسود!

عقبة : (محرضًــا) لئن لم تردع عبــدك يا أمية وترده عما هو فيه، فلســوف يندلع لهيب هذه الفتنــة بين الموالى والعبيد، بعد أن أخذت سبيلها بين الأشراف!!

أمية بن خلف : (بغيظ شديد) تبًا له هذا العبد الأسود.. لا نجوت إن نجا.. لا نجوت إن نجا.. لأفعلن به الأفاعيل!!

«ينصرف أمية غاضبًا»

* * *

«فــى دار أمية.. ينادى بلالاً.. يدخل بلال.. شاب فارع، قوى الجسم، شديد سواد البشـرة.. مــا يكـاد يقــف أمـام أميـة حتى يبتــدره ثائـرًا والشـرر يكـاد يتطاير من عينيه...».

أمية بن خلف : (محنقًا) أحقًا هذا الذى بلغنى عنك يا بلال؟..

بلال بن رباح : (يستفسر قلقًا) وما بلغك ؟!

أمية : أحقًا أنك تختلف ليل نهار إلـى محمد كمـا يقولون، وأنـك آمنت بأوهامه وصبأت عن آلهة قريش والعرب ؟!!!

بلال : (فى ثبات) إنه والله إلـى الحق يـدعو.. ولا أكتمك أنى قد جئت محمدًا وآمنت برسالته.. وصدقته واتبعته فيما يدعو إليه.. وتابعته على دينه الذى أتى به..

أمية : (مغضبًا) وتقولها فى وجهى يا عبد السوء؟!!..(مستأنفًا) أما علمت أنك ملك يمينى، وعبد رقيق من عبيدى،

وإننى أملك روحك وعقلك وجوارحك؟! فكيف تجاوز طورك وتتعدى حدك وتخرج علـى ديـن سيدك؟!!!

بلال : (فى ثبات) أما أنى عبدك وأسيرك فهذا ما لا أنكره عليك..

أمية : (فى غيظ وعجب) أو تستطيع أن تنكره؟!..

بلال : ما أنكره ولا أنكرته، ولو أمرتنى بقطع وادٍ مُسبْع فى جوف الظلام لفعلت..

أمية : (وقـد انبعث لديه بعض الأمل) إذن فكيف تعصانى وتتابع محمـدًا فيمـا يسـفـه به أحلامنا، ويسـخر من دين آبائنا وأجدادنا..

بلال : (فـى ثبـات) لك علـىّ بدنى، ولا شـأن لأحد بخلجات نفسـى.. عقلـى وقلبـى ودينى لا سـلطان لأحـد عليها.. ولست بأعصيك ولا أعصى أحـدًا فـى اتباع دين محمد وما أتانا من الله به من هداية ونور..

أمية : (ساخرًا وقد استشـاط غضبًا) مرحى، مرحى.. ما كل هذا يا ابن الحبشـية؟!..لا أملك عليك نفسـك؟! ماهذا الذى أسمع يا عبد السـوء؟!! إنك ملك يمينى من مفرق رأسـك إلى أخمـص قدمك.. (مهددًا) ولئن لم ترجع عما أنت فيه لأعذبنك عذابًا شديدًا.. ولأجعلنك أمثولة بين العبيد!

بلال : لا عليـك.. فـو الذى نفسـى بيده، لن أتـرك الدين الذى أعزنى الله به مهما صنعت..

أمية : (وقد اشـتد غضبه) أى شؤم.. رمانا بك يا عبد السوء؟!.. سترى جزاء عصيانك وصبوئك!

بلال : (فى ثبات وهدوء) اتق غضب الله..

أمية : (بغيظ وغضبٍ شديدين) واللات والعزى لسوف تندم على

اجترائك وتمردك! ..(مستأنفًا) لأجعلنك للعبيد والسادة مثلاً وعبرة..

بلال : افعل ما بدا لك.. فو الله ما أنا تارك دينى الذى هدانى الله إليه..

أمية : (صائحًا فى ثورة شديدة) إلىّ يا رجال..إلىّ.. (آمرًا) خذوا هذا العبد الآبق الصابئ إلى بطحاء مكة واطرحوه فى الرمضاء تحت وهج الشمس.. هيا.. قيدوه بالأغلال.. واجلدوه بالسياط، ولا تدعوه حتى يرجع عما هو فيه أو يموت.. ولتجعلوه عبرة لهؤلاء الصابئين أتباع محمد..

«يسارع رجال أمية فى اقتياد بلال، فيمضى معهم فى ثبات وهدوء..»

* * *

«وقت الظهيرة.. فى بطحاء مكة.. بلال مسجى فى لهيب الشمس الحارقة.. منزوع الثياب إلاّ ما يستره.. يحيط به رجال أمية يعذبونه ويجلدونه وأمية يشرف عليهم فى غيظ وضيق».

أمية بن خلف : (شامتًا) هيه.. كيف وجدت العذاب يا بلال؟.. لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى!

بلال بن رباح : (مغالبًا آلامه فى ثبات) أَحَدٌ..أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

أمية : فكيف وجدت ربك يا ابن حمامة؟!

بلال : (يردد) أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

قرشى : (فى تشفٍّ وشماتة) هيه.. كيف وجدت ربك يا بلال؟!

بلال : (فى إصرار وحشرجة من ألم العذاب) أَحَدٌ أَحَدٌ.. أَحَدٌ أَحَدٌ ! !

قرشى آخر : (فى سـخرية) فأين ربك الأحد؟! وأين صاحبك يسـتنقذك مما أنت فيه من عذاب؟! !

أمية : (متداخلاً) ألا تقول كما نقول؟

بلال : (ثابتًا يغالب الألم) إن لسانى لا يحسنه..

أمية : (مهددًا) يا بلال، اذكر اللات والعزى..

بلال : (مغالبًا آلامه فى ثبات) أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

«تتزايد ضربات السياط..»

أمية : (بغضـب وغيظ) أما ترجع عما أنت فيه؟!.. ماذا صنع لك صاحبـك؟! ! أمـا تعـود إلـى اللات والعزى وتدع ما يزعمه محمد؟! !

بلال : (بنفس الإصرار) أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

أمية : (معاودًا فى تهديد) اذكر اللات والعزى!

بلال : (بنفس الإصرار الممزوج بالألم) أَحَدٌ أَحَدٌ.. أَحَدٌ أَحَدٌ.

«تثـور ثائرة أمية، فيدعو رجاله لضرب بلال بالسـياط.. لا يتوقف بلال ويـردد نداءه الأثير: أحد أحـد.. بينمـا الرجال ماضـون فى ضربه بالسياط.. يئن ولكنه لا يتوقف عن ندائه..».

أمية : (وقد اشتد غيظه) ضعوا على صدر ابن الحبشية هذه الصخرة العظيمة.. (مستحثًّا) هيا.

«يرفع رجـال أمية صخرة عظيمـة ويلقونها على صدر بـلال الذى يتأوه مـن ثقلها.. ولكنه

يتابع نداءه: أحد.. أحد..!».

أمية : (يستأنف أمية بغيظ) سنرى يا عبد السوء ماذا أنت فاعل.. سنرى!!

* * *

«بعد فترة.. والعذاب قائم لا يهدأ فى البطحاء.. يمر بهم ورقة بن نوفل.. شيخ كبير هرم.. قد طعن فى السن، وذهب بصره حتى لا يكاد يرى.. يهوله ما يصنعون ببلال.. يسمع من خلال أنينه كلمته الأثيرة: أحد أحد.. فيقترب من بلال مشفقًا ومشجعًا..».

ورقة : (لبلال.. مشجعًا فى حنان) أحد أحد والله يا بلال.. أحد أحد والله يا بلال..

«ينظر ورقة فى القوم باحثًا، حتى يرى أمية ابن خلف.. فيتجه إليه متوكئًا..».

ورقة : (لأمية بن خلف ـ مؤنبًا) أحلف بالله، لئن قتلتموه على هذا، لأتّخذنه حنانًا.. ولأجعلن قبره موضع رحمة فأتبرك به وأستمطر عنده رحمة الله، وألوذ بجواره..

«يستمع إليه أمية فى ضيق واضح، ونفاد صبر.. ثم ينصرف عنه، فيأمر رجاله بإحضار صخرة أخرى أكبر وأعظم.. فيسارعون إلى وضعها على صدر بلال.. ويستأنفون ضربه بالسياط.. يبدو على بلال الألم والوهن، ولكنه يقاوم.. يقترب منه أمية مغيظًا محنقًا».

أمية : (إلى بــلال فى غلٍّ وغيظ) لعل هذه الصخـرة تســكـت من صيحتــك التــى ما فتئت تؤذى بهــا آذاننا مذ أمس أيها العبد الآبق !

بلال : (فى ثبات ممزوج بألم شديد) أحد أحد ! !

أمية : (مغيظًا) واللات والعزى، لأحزن رأسك بهذا السيف..

قرشى : (لبلال مغيظا متوعدًا) لئن لم ترجع عن ضلالك ، لأضربن عنقك بهذا السيف يا ابن الحبشية !...

بلال : (فى ثبات ممزوج بألم شديد) أحد أحد ! !

أمية : (بغيظ مشــوب باليــأس) عجيب أمرك يا عبد الســوء.. أمــاض أنت فى ضلالــك؟.. ألا تعود إلى ديننا فتبرأ من هذا العذاب الذى لا قبل لك به ؟!

بلال : (فى ثبات ممزوج بالألم) أحد أحد !.. أحد أحد !

أمية : أنت وشــأنك.. سنرى ماذا يســتطيع صاحبك أن يصنعه لك ! !

«ينصــرف أميــة، بينما رجالــه ماضون فى تعذيب بلال وضربه بالسياط..».

* * *

«بعد فــترة.. بنفس المــكان.. ببطحاء مكة.. مشــهـد العذاب علـى مـا هو عليه..إلاّ أن أنات ونداءات بلال – أحد.. أحد – لا تتوقف..».

أمية : (فى شماتة واستهزاء) ألاَ زلت على ضلالك يا بلال؟!

بلال : (فى إصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية : أما آن لك أن تعود إلى ديننا وتنتهى مما أنت فيه؟!

بلال : (فى إصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية : يا بلال، ستظل هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى!..

بلال : (فى إصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية بن خلف : لا تزال هكذا حتى تموت يا بلال.. (بغيظ أشد) حتى تموت يا بلال..

«يصل عقبة بن أبى معيط وينضم إلى أمية».

عقبة بن أبى معيط : (متداخلاً) خل عنك يا أمية ، واللات لن يعذب بلال بعد اليوم (مخادعًا) إن بلال منا.. هو عبدنا ، وأمه جاريتنا.. (يستأنف محادثًا بلالاً) يا بلال.. إنك لن ترضى أن تجعلنا بإسلامك حديث قريش وموضع سخريتها ..

بلال بن رباح : (بنفس الإصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية بن خلف : (وقد اشتد غضبه) ألم أقل لك؟!.. إنه عبد سوء ..(مناديًا) شددوا عليه العذاب، وسنرى ماذا يستطيع صاحبه أن يفعله له ..

بلال : (بنفس الإصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

* * *

«بنفس بطحاء مكة بعد فترة.. المشهد كما هو.. يظهر أبو بكر الصديق ويقترب معاتبًا على ما يفعلونه ببلال..».

الصديق : حتى متى يا أمية؟!- ألا تتقى الله فيه؟!

أمية : وما لك وما أفعله بعبدى.. إنه ملك يمينى، أفعل به ما أشاء.

الصديق : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟!.. لست والله أرى فيما أرى صنيع رجال!! ..أو تفترى بسلطانك ورجالك وجاهك على عبد ضعيف، لاحول ولا قوة له؟!

أمية : (فى غل) إنه عبدى!! فما لك وما أفعله بعبدى يا ابن أبى قحافة؟!..(فى تشفٍ) إنه ملك يمينى أعذبه وأفعل بـه ما أشاء!!

الصديق : وهل ابتعته لتفعل به ما أراك تصنعه؟!!

أمية : (مغيظًا ساخرًا) أنت الذى أفسدته، فأنقذه مما ترى..

الصديق : أفعل..

أمية : دونكه فاشتره وخلصه مما هو فيه ، إن كنت مشفقًا عليه!

الصديق :عنـدى غلام أجلد منه وأقوى على دينـك، أعطيكـه به..

أمية : (فى ارتياح وقد نفد صبره من بلال) قد قبلت..

الصديق : هو لك.. رد علىَّ بلالا..

أمية : ها هو.. خذه.. (مناديًا فى رجاله) أطلقوا عبد السوء.. أطلقوه..

الصديق : بل هو سيدنا.. كلنا لآدم وآدم من تراب..

أمية : عجبًا لك يا ابن أبى قحافة.. فواللات والعزى لو أبيت أن تشتريه إلا بأوقية واحدة لبعته لك بها!!

الصديق : والله لو أبيتم أنتم إلا مائة أوقية لدفعتها!!

«يقترب أبو بكر من بلال حانيًا مواسيًا.. فيفك أغلاله، ويرفع الصخرة من على صدره.. ويخفف عنه، ويواسيه.. ويعينه على النهوض..».

أبو بكر : (إلى بلال) هلم يا بلال، قد والله وهبتك حريتك، فاعبد الله ما بدا لك..

«يمضى بلال فرحًا متهللاً يردد.. أحدٌ.. أحدٌ»

* * *

«بعد فترة، فى دار أبى بكر.. وقد بلغ من أعتقهم لله ورسوله سبعة.. ، عامر بن فهيرة، وأم عبيس، وزنّيرة، وجارية بنى مؤمل، والنّهدية، وابنتها.. وبلال».

«يدخل على أبى بكر أبوه: أبو قحافة، شيخًا هرمًا.. قد كف بصره.. يساعده أبوبكر على الجلوس فى برٍّ واضح...».

أبو قحافة : (لابنه أبى بكر) أحقًا ما بلغنى يا ولدى؟!!

أبو بكر : وما بلغك يا أبتاه؟!

أبو قحافة : بلغنى أنك اشتريت بلالاً: عبد أمية بن خلف!!

أبو بكر : أجل يا أبتاه..

أبو قحافة : (مستأنفًا) وأنك دفعت فيه ثمنًا باهظًا..وأعتقته لفورك!!

أبو بكر : نعم يا أبتاه.. ابتغاء وجه الله..

أبو قحافة : أنت وشأنك يا ولدى – ولكنى أراك تعتق رقابًا ضعافًا،

(ناصحًا) فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلدًا ، يمنعونك ويقومون دونك؟!

أبو بكر : يـا أبـت، إنى إنما أريد مـا أريد لله.. أريـد ما عند الله يا أبتاه!!

«أبو قحافة يسكت مستسلمًا مغلوبًا على أمره»

* * *

«بعد أيـام.. مكـة كلها تتحـدث بما صنع الصديق أبوبكر فى شراء ثم عتق العبيد.. محمد عليه السـلام فى خلوته وتحنثـه.. يتنزل عليه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو).. ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الليل: الآيات: ١ – ٢١].

(يرتفع الوحى)

* * *

٦

دس يهود

« قل الروح من أمر ربى »

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾

[سورة يونس]

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

[سورة الزخرف]

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

[سورة الجاثية]

«الأيام تمضى بمكة ودعوة الإسلام تنتشر شيئًا فشيئًا انتشارًا ملحوظًا.. تخفق محاولات وصدود قريش فى وأدها أو وقفها.. يتفنن القرشيون فى البحث عما يعنتون به الرسول صلى الله عليه وسلم.. لفيف من قريش وزعمائها يتسامرون فى دار الندوة».

أبوسفيان : (إلى أبى جهل فى كمدٍ وضيق وحسرة) أو ينزل الوحى على هذا الرجل يا أبا الحكم، وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها؟ ويترك مسعود بن عمرو سيد ثقيف؟!!

أبوجهل : (مستهزئًا) أو تراك تصدق يا أباسفيان أنه ينزل عليه وحى؟!

(مستأنفًا) إنه لساحر، فرق جمعنا ، وسفَّه أحلامنا، وسب آباءنا، وسخر من آلهتنا..

أبوسفيان : (مغيظًا) لو أسلمه أبوطالب إلينا، ما صرنا يا أباالحكم إلى ما نحن فيه!!

عقبة بن أبى معيط : (متحسرًا) وها هو ذكره قد بلغ يثرب!

أبوجهل : وَغَدًا، يبلغ ذكره بلاد العرب كلها!!!

أبوسفيان : قد واللات قوى أمره، حتى بلغنى أنه يعرض نفسه على قبائل العرب فى موسم الحجيج ، ويدعوهم إلى الدين الذى تهاوى إليه كثير من قومنا!!!

عقبة : (ساخرًا) ويزعم لهم أن بعد الموت بعثًا.. وجنة يدخلها من تابعه.. ونارًا يصلاها من خالفه..

«يقهقهون ساخرين.. سخرية ممزوجة بقلق لا يستطيعون مداراته».

أبوجهل : واللات.. إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا.. فما فضله علينا حتى يأتيه الوحى ويدع سادة قريش والعرب؟؟!! لعمرى إنه لساحر!!!

* * *

«محمد فى عزلته يتعبد ويتهجد، يأتيه جبريل الأمين بكلمات رب العالمين».

جبريل : (يتلو على محمد): ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة يونس: الآيات: ٢ ـ ٤]

(يرتفع الوحى)

* * *

«رؤوس الكفر من قريش مجتمعون فى دار الندوة، يخوضون فى محمد، ويأتمرون عليه..».

أبوجهل : واللات والعزى لو كان ما يقوله محمد حقًّا لنزل ما يدعيه على الوليد بن المغيرة فى عزه وجاهه ومنعته، وهو سيد قريش بغير منازع!!!

العاص بن وائل : أو على مسعود بن عمرو الثقفى.. فهو سيد ثقيف وعظيم الطائف الذى لا يطاوله مطاول!!!

* * *

«محمد فى عزلته يتعبد، ويتلو ما أنزله الله عليه من القرآن، فيأتيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[سورة الزخرف: الآيات: ٣١- ٣٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«دار الندوة.. كبراء قريش.. يتناقشون فى الأمر، وقد اشتد حنقهم وغيظهم».

أبوجهل : (مغيظًا للعاص بن وائل) ها أنت يا ابن وائل ترى قريشًا تتخبط، بينما محمد يدعو العرب بين ظهرانيكم أن يسلخوا اللات والعزى من أعناقهم، ويتبعوا ما جاء به من بدعة وضلالة؟!!!

العاص : (مستنكرًا فى غيظ) وقد غره وصحبه زعمهم أن يحيوا بعد الموت.

أبوسفيان : (مصادقًا) أصبت يا ابن وائل..(يستأنف متهكمًا فى غيظ) ويقولــون أن بعد الموت بعثًا، وجنة لمن تابعهم، ونارًا لمن خالفهم..

العاص : إن هى إلا حياتنا الدنيا وما يهلكنا إلا الدهر.

* * *

«محمد عليه الســلام فى خلوتــه يتحنث ويتعبد، فيوافيه جبريل عليه السلام».

جبريل : (يتلــو) ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ســورة الجاثية: الآية: ٢٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«دار النــدوة.. نفس طواغيت قريش.. إذ هم فى حديثهم المغيظ، يلمحون خباب بن الأرت.. من أتباع محمد.. قادمًا عليهم».

أبوجهل : (ضاحكًــا فى ســخرية للعاص بن وائــل) انظر يا ابن وائل.. هاهو خباب بن الأرت قادما إلينا.. وما أحسبه إلا جاء يطالبك بدينه!!!

«رؤوس قريش يقهقهون ضاحكين مستهزئين».

خباب : السلام عليكم..

«القرشيون لا يردون».

العاص : (ساخرًا) ألا تحدثنا بما تعرفه يا خباب؟!

خباب : لا أحسبنى أحسن حديثكم، ولا أحسبكم تحسنون حديثى.. وما جئت إلا فى أمر أقضيه وأنصرف، وأدعكم لما أنتم فيه!!

العاص : (فى استهزاء) أراك قدمت لدينك تطلبه؟!

خباب : (باقتضاب) أصبت!

العاص : (ساخرًا) لا أعطينك إذًا حتى تكفر بمحمد..

خباب : (فى حزم) لا حتى تموت وحتى تبعث ..

العاص : (ساخرًا) إذًا فإنى لميت ثم لمبعوث ؟!!

خباب : أجل.

العاص : (ساخرًا) أليس محمد الذى أنت على دينه يزعم أن فى الجنة ما يبتغى أهلها من ذهب وفضة وغيرهما؟!!

«يقهقه القرشيون مستهزئين».

خباب : (باقتضاب) بلى يا ابن وائل..

العاص : (ساخرًا) فأنظرنى إذن إلى هذا اليوم فسأوتى مالا وولدًا، وأقضيك دينك.

«يكاد القرشيون يستلقون على ظهورهم من فرط ضحكهم سخريةً واستهزاءً».

* * *

«محمد عليه السلام فى خلوته يتعبد ويتهجد..
يوافيه جبريل عليه السلام بكلام رب العالمين».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ

عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة مريم: الآيات: ٧٧ – ٨٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«بعد أيام.. بجوار الكعبة.. رهط من قريش يتسامرون.. فيهم أبو سفيان وأبوجهل وأُبَيّ بن خلف والعاص بن وائل وبعض رؤوس قريش.. يلمحون محمدًا عليه السلام وأبابكر قادمين عليهم ... فيعتريهم الوجوم راغمين..».

أبوسفيان : أترون معشر قريش هذا المقبل.. إنه محمد وصاحبه ابن أبى قحافة..

«يصمت القرشيون كأن على رؤوسهم الطير.. بينما يغالب أُبى بن خلف وجومه.. وينهض.. ويأخذ فى جمع بعض العظام من بطحاء مكة بين دهشة القرشيين..».

أبوجهل : (متعجبًا) ما تصنع يا ابن خلف!!

أبى بن خلف : ألم تسمع قولة محمد إن إلهه يحيى العظام وهى رميم؟!!! فإننى آتى له بعظام من البطحاء ، لعله يرينا ما سيفعل بها؟!!!

«أُبَى بن خلف يعود إلى الجميع وقد لحق بهم محمد والصديق ، حاملاً ما جمعه من عظام».

أبى بن خلف : (لمحمد ـ ساخرًا) ألست تزعم يا محمد أن ربك يحيى العظام وهى رميم؟!!

العاص : (متداخلاً فى استهزاء وفى يده عظم حائل يفتته) يا محمد!! أيبعث هذا بعد ما أرم؟!!!!!!

محمد : (فى ثقة وهدوء) نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم.

أبى بن خلف : (ساخرًا) أرأيتم معشر قريش.. إن ربه يبعث هذه العظام بعد أن رمت وبليت وصارت ترابًا..

«يتضاحك القرشيون، ولكنهم مأخوذون كأن على رؤوسهم الطير.. يلم جبريل بمحمد عليه السلام فيلقنه من كلمات ربه ما لا يسمعه سواه ، فيتلوها محمد لتوه على طواغيت قريش..».

محمد : (يتلو فى ثقة واطمئنان) ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة يس: الآيات: ٧٧ – ٨٣].

«يمضى محمد، بصحبته أبوبكر، بينما

القرشيون صامتون لا يحيرون جوابًا، ولا ينطقون حديثًا!!!».

* * *

«رؤوس قريش بذات مجلسهم بظاهر الكعبة حين بعثوا إلى محمد.. فعرضوا عليه من الأمور ماعرضوا، ورد عليهم من ردوده ما أبان.. فلما تركهم إلى داره حزينًا آسفًا على حالهم.. بقوا في مجلسهم واجتماعهم يتغامزون.. عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبوسفيان، والنضر بن الحارث، وأبوالبختري بن هشام، والأسود ابن عبد المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبوجهل، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف.. أما عبد الله بن أبي أمية فكان قد انصرف عند انصراف محمد.. ينبري أبوجهل من بين المجتمعين!!».

أبوجهل : (غاضبًا متوعدًا) يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلاّ ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا.. وإني أعاهد الله لأجلسن له غدًا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم!!

الحاضرون : واللات والعزى، لا نسلمك لشيء أبدًا، فامض لما تريد!!

* * *

«نفس المكان.. صباح اليوم التالى.. يبكر أبوجهل بالحضور ، فيحتمل حجرًا ثقيلاً، ويتربص به لرسول الله عليه السلام.. بعد فترة يأتى الرسول صلى الله عليه وسلم فيغدو فى الكعبة كما اعتاد أن يغدو.. قبلته إلى الشام.. يصلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، جاعلاً الكعبة بينه وبين الشام.. الرسول مستغرق فى صلاته، بينما قريش تجلس فى أنديتها تنتظر ما أبو جهل فاعل..».

«الرسول صلى الله عليه وسلم يسجد.. فى الناحية الأخرى.. يحتمل أبوجهل الحجر ويتجه إلى الرسول..، فما يكاد يقترب من الرسول حتى يرجع منهزمًا ممتقعًا لونه، مرعوبًا، قد يبست يداه.. فى حين تستقبله قريش ساخرة مستهزئة».

بعضهم : (ساخرًا مستهزئًا) ما لك يا أبا الحكم؟!

أبوجهل : (ولونه لا يزال ممتقعًا) قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة.

بعضهم : (يقاطعونه مستهزئين) فما بالك لم تفعل؟!!!

أبوجهل : (محاولاً تجاهل سخريتهم واستهزائهم) فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل!!

بعضهم : (يرددون متضاحكين) فحل من الإبل؟!!

أبوجهل : والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بى أن يأكلنى!!

«لا يتمالك القرشيون أنفسهم من الضحك

سخرية واستهزاءً بأبى جهل حتى احمر وجهه خجلاً.. فلما هدأوا قليلاً من ضحكهم وجلبتهم قاموا منصرفين !!!».

* * *

«بعد أيام.. بظاهر الكعبة.. أبوجهل فى نفر من طواغيت قريش، لا يزال يعز عليه انهزامه يوم رجع خوفًا من رسول الله.. فيختال بين رفاقه مهددًا متوعدًا..».

أبوجهل : هل لا يزال محمد يصلى ويعفر وجهه بين أظهركم؟

الحاضرون : نعم..

أبوجهل : (متوعدًا فى اختيال) واللات والعزى! لئن رأيته يصلى عند الكعبة لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه فى التراب!!

«يسمع إليه القوم غير مصدقين، ولكن لا يفوهون بشىء».

* * *

«محمد عليه السلام فى مجلسه.. يأتيه من يخبره بوعيد أبى جهل..».

محمد : (فى هدوء وثقة) لو فعل لأخذته الملائكة...

«يتنزل الوحى على محمد..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾

نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة العلق: الآيات: ٩ – ١٦].
(يرتفع الوحى)

* * *

«منتـدى قريش عند الكعبة، وقد اجتمع شمل رؤوس الكفر وطواغيت القبيلة.. على مدى البصر محمـد عليه السـلام يصلى فى الكعبـة، – ولا يسـتطيع أبوجهل أن يعرض له.. ينهض النضر ابن الحارث فيهم قائلاً..».

النضر بن الحارث : يا معشـر قريش، إنـه والله قد نزل بكم أمـر ما أتيتم له بحيلـة بعد.. قد كان محمـد فيكم غلامًـا حدثًا أرضاكم فيكـم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة.. حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشـيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر.. لا والله، ما هو بسـاحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم.. وقلتـم كاهـن، لا والله مـا هو بكاهن، قـد رأينا الكهنة وتخالجهم، وسمعنا سجعهم.. وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر ومعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه.. وقلتم مجنـون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فمـا هـو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه.. يامعشر قريش، فانظروا فى شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم!!

«ينـزل حديـث النضر علـى طواغيت قريش كالصاعقـة.. يعتريهم الوجـوم فـى البداية، ثم يأخذون فى التشاور! فيقر رأيهم على أن يبعثوا النضر بن الحارث نفسه، ومعه عقبة بن أبى معيط

إلى أحبـــار يهود يثرب، علّهمـــا يأتيان من هناك بخبر يزيل هذه الغمّة...».

الجمع من قريش : (للنضـــر وعقبة) ســـلاهم عن محمـد، وصفـــا لهم صفته، وأخبراهم بقوله.. فإنهـــم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء..

«ينصـرف الرجلان ليتهيآ للســفر إلى يثرب لا يلويان على شيء !!..».

* * *

«بعــد أســابيع.. فى يثرب النضــر وعقبة مع بعض أحبار اليهود يتباحثون.. بعد أن وصفا لهم محمدًا وأخبراهم بقوله..».

النضر وعقبة : (لأحبار اليهود) إنكـم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا..

الأحبار : (ناصحين بقلوب واجفة لا يســتطيعون إخفاء ما اعتراهم من قلق واضطراب) ســلوه عن ثــلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهـن فهـو نبى مرســل، وإن لم يفعـــل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم... ســلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول.. ما كان من أمرهم ؟.. فإنه قد كان لهم حديث عجيب!!... وسلوه عن رجـل طواف قـد بلـغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟.. وســلوه عن الــروح – ماهى ؟! فــإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم!!!

* * *

«بعد أيام بظاهر الكعبة.. عقبة والنضر، ورهط من رؤوس الكفر من قريش.. يظهر محمد عليه السلام مقبلاً عليهم، فيبتدرونه..».

النضر وعقبة وبعض المجتمعين: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب.. وعن رجل كان طوافًا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها.. وأخبرنا عن الروح ـ ماهى؟!

محمد : أخبركم بما سألتم عنه غدًا..

«القرشيون ينصرفون عن محمد فرحين، يستشعرون أنه سيعجز عن إجابتهم.. تمضى الأيام يومًا وراء يوم.. وهم يستعجلونه كل يوم.. وهو يرجئهم لغد.. حتى مضت خمس عشرة ليلة، والله لا يحدث محمدًا فى ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل، حتى صار النبى فى همّ وحزن مقيم.. وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة.. وإذ هو يومًا بخلوته يتحنث ويتعبد ، يتنزل عليه جبريل عليه السلام، فيبتدره الرسول آسيًا..».

محمد : (لجبريل) لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنًا؟!!

جبريل : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾[سورة مريم: الآية: ٦٤].

«محمد يتأهب بكل الحنين والشوق لتلقى الوحى، فيبدأ الروح الأمين فى إبلاغه كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ
وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ
وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ
قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا
﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ
بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ
زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا
عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى
ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ
أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ
لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ
فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن
نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ
ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا
غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ
لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ
ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ
لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا
﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ
كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ
فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا
﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟
عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ
وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ
فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ
غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ
ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ
لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم

مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيِّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾[سورة الكهف: الآيات: ١ – ٢٦].

«ما يكاد جبريل عليه السلام ينتهى من ذكر أهل الكهف: الفتية الذين ذهبوا فى الدهر الأول.. حتى ينظر النبى مشفقًا.. كأنه يقول: وما نبأ الرجل الطواف.. ولكنه قبل أن يسأل، يتلو عليه جبريل من كلمات رب العالمين..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾[سورة الكهف: الآيات: ٨٣ – ٨٦].

«يكاد لسان محمد يقول: والروح ؟! ولكن جبريل عليه السلام لا يتركه حتى يوافيه بما تنزل به من لدن العليم الحكيم..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء: الآية: ٨٥].

(يرتفع الوحى)

«يطير محمد ﷺ إلى قريش فرحًا راضيًا بما أوحاه إليه رب العالمين».

* * *

٧

لا أعبد ما تعبدون

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾

[سورة التكاثر]

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾

[سورة الكوثر]

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

[سورة الكافرون]

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

[سورة الزمر]

«مكــة.. التوتر وتربص وصــد وإعنات قريش على أشــده بعد أن أعلن محمــد صلى الله عليه وســلم دعوته بين عشــيرته الأقربين، ثم لباقى قريــش – محمد فى خلوته يتعبــد ويتحنث... يتأمل فى حال الإنســان، وكفــره بربه، وحبه للمال وشحه به.. وصده عن سبيل الحق.. هؤلاء الكفــار لا يقيمون للبعث اعتبارًا، ولا يحســبون ليــوم القيامــة حسابًا.. أفلا يذكرون فى طغيانهم وضلالهــم وعيد ربهم، وأن مرجع الخلائق كلها إليــه.. العليــم الخبيــر بمــا تبطن النفوس، وما تظهــر، وبخبايا ما فى الصــدور؟!!!!.. إذ هو عليه الصلاة والســلام فى تأملاته وإخباته يتنزل عليه الروح الأمين...».

جبريل : (يتلو علــى محمد) ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾[سورة العاديات: الآيات: ١ – ١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«شبه الجزيرة العربية، وقد جمحت القبليات بالأُسَر حتى صاروا يتباهون ويتفاخرون بالأحياء

وبالأمـوات مـن كل قبيلـة.. تستشـرى بينهم المفاخـرات حتـى لا يكفيهم التفاخـر بالأحياء منهـم.. وإنما يسـتحضرون أمجـاد الراحلين.. يكادون ينادون أجداثهم من القبور..

حى من أحياء مكة.. جَمْعٌ من بنى عبد مناف وآخر من بنى سـهم... يتلاحـون ويتفاخرون.. يزهو كل منهما على الآخر بأنه الأكثر عزة ومالا وكثرة!!»

بنو عبد مناف : لا أحـد فى قريش، ولا فـى العرب كلها، إلا ويعرف أننا نحن أكثر سيدًا وأعز عزيزًا، وأعظم نفرًا وأكثرهم عائذا!!!

بنو سهم : نحن الأكثر عددًا، والأعظم نفرًا ، والأكثر سـادةً وأشرافًا، والأعز عزيزًا...

«يتلاحـى الفريقـان حتى يوشـك الجميع أن يقتتلوا..».

سهمى : ما بالنا نتقاتل، وكل منا أعرف بنفره وسـادته وأشرافه... فهلموا نحصى عدد كل منا.. من زَادَ الآخر رجح.

«بنو عبد مناف يرحبون باقتراح السـهمـى.. يأخذ كل فريق فى إحصاء سادته وأشرافه وعدده، فما ينتهى الفريقان من هذا الإحصاء حتى يتضح أن الكثرة فى بنى عبد مناف.. تبدو خيبة الأمل على بنى سهم، ولكن قائلهم يقول...».

سهمى : (مستدركًا) إن الوغى أفنانا فيما مضى؟!!!

منافى : فمـا تريدون؟!! قـد أحصينا وأحصيتـم، فكثرناكم عددًا وعزًا.. فما شأننا وما أفناكم؟!!

بنو سهم : أليس من ماتـوا مـن بنى سهم منـا، ومن ماتوا من بنى عبد مناف منكم؟!

بنو عبد مناف : أجل، فما تريدون بذلك!!

بنو سهم : عارونا بالأحياء وبالأموات..

منافى : فما تقصدون بذلك ؟!

سهمى : تعدون موتاكم ونعد موتانا.. نضيفهم إلى الأحياء، لنرى من منا فى النهاية – بأحيائه وأمواته، أكثر سـادةً وأشـرافًا، وأعز عزيزًا، وأعظم نفـرًا، وأكثـر عائذًا!!

«يتصايح الفريقان موافقـين.. ينطلق الجميع مسـارعين إلى القبور بظاهر مكـة.. ما إن يصلوا حتـى يأخـذوا فى إحصـاء أجسـاد الموتى فى القبور، بعد أن أحصوا الأحياء.. فكثرت بنو سهم بنـى عبد مناف.. يسـخر بنو عبـد مناف من عد الأموات، ويتمسك بنو سهم بأن الأموات كالأحياء فـى كثرة وعـزة بطن.. يتلاحـى الفريقان طويلاً، يتباهى كل منهما بعزه وسـؤدده، وماله وجاهه.. وكثرتـه.. فلا يتوقف التلاحى، والتقاتل، إلاّ بعد لأيٍ شـديد.. ينصرف كل فريق إلى حيه، وألسنة كل منهم تلهج بما تفاخروا وتباهوا به من كثرة المال والجاه، والعز، والسؤدد، والنفر والأشراف!!!

« تشـيع المفاخرات فى مكـة وما حولها حتى تكاد القبائل تنصرف إليها انصرافًا ! ! »

* * *

«محمد عليه السـلام.. فـى خلوته.. يتعبد فى سـكون وإخبات، لا يعنيه مـن أمر الدنيا جاه ولا تكاثـر.. وإذ هو يتهجد خاشـعًا لله، يأتيه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[سورة التكاثر: الآيات: ١ـ ٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قريش فـى مجلسـها بظاهـر الكعبة.. يأتيهم أبوجهل بادى الفرح والسرور.. فيسألونه..».

قرشى : ماوراءك يا أبا الحكم؟ ! !

أبوجهل : بُتِـرَ محمد.. مات له القاسـم، وها قد مات عبد الله.. وما أرى إلا أنه أبتر..

عقبة بن أبى معيط : (مستهزئًا) أترون، إنه أبتر.. لا يبقى له ولد..

«يتضاحك القرشيون ساخرين»

«رؤوس قريش بالكعبة.. يدخل عليهم كعب بن

الأشــرف قادمًا من يثرب.. يســتقبلونه مرحبين.. فما يكاد يجلس، حتى يبتدروه..».

قرشى : أمــا ترى يا كعب هذا الصابئ محمدًا الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء..

كعب : (باقتضاب) بلغنى نبؤه!!!

قرشى : إنك ســيد أهل يثرب، ونحن فيما ترى أصحاب الســقاية والســدانــة والحجابــة واللــواء.. ألا تــرى هـذا المنصبر (يقصدون النخلــة المنفـردة، والسعفة تنبت فى جذع النخلة لا فــى الأرض)، الأبــتر. المنبتر من قومــه، يزعم أنه خير منا.. أفنحن خير، أم هذا الصنيبر الأبتر ؟!!

كعب : (مندفعًا) بل أنتم خير منه!

«يدخل عليهم العاص بن وائل.. فيســمع طرفًا من حديثهم وصخبهم حول محمد ، فيبتدرهم..».

العاص بن وائل : دعكم منه!!

أحدهم : خبرنا أولا.. من كنت تحدث الآن بظاهر الكعبة؟!

العاص : هو ذاك الأبتر؟!!

بعضهم : (ضاحكين ساخرين) لعلك صادقته؟!!

العاص : ما أعلـم أحدًا منكم يبغضه كما أبغضه، ولا مثلى شنآن له.. أنا شانئ محمد!!

قرشى : (مداعبًا) ألهذا قلت.. دعوكم منه؟!!

العاص : (جــادًا) أجل، دعوكم منه، فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو هلك، انقطع ذكره، واسترحتم منه!!!

* * *

«محمد عليه الصلاة والسلام فى بعض أصحابه..
بــدا كمن يغفو إغفاءة يســيرة.. يتنــزل عليه فيها
الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلــو على محمد)﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[سورة الكوثر: الآيات: ١ ـ ٣].

«يرتفــع الوحــى.. بينمــا يرفع محمد رأســه مبتسمًا».

الصحابة : (مشغوفين) ما أضحكك يا رسول الله؟!!

محمد : (يتلو عليهم ما نزل عليه من سورة الكوثر)(مستأنفًا) أتدرون ما الكوثر؟!

الصحابة : الله ورسوله أعلم!

محمد : فإنــه نهر وعدنيه ربى عز وجل، فيه خير كثير هو حوض تــرد عليه أمتى يوم القيامة، آنيتــه عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقــول: إنه من أمتى.. فيقال إنك لا تدرى ما أحدث بعدك...

(مســتأنفًا) إنه نهر فى الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الــدر والياقوت، تربته أطيب من المســك، وماؤه أحلى من العســل، وأبيض من الثلج.. من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا...

* * *

«مكة.. لا يزال طواغيت قريش على تجبرهم
وغلظة قلوبهم.. العاص بن وائل غارق فى تكذيبه

بالدين، وشحه بماله إلاّ فى التفاخر وإتيانه كل قبيـح .. يتكاتف هـو والـوليد بن المغيرة، وأبو سفيان وأبوجهل فى كل منكر!!».

«دار أبى سـفيان بمكة.. يقف أبوسفيان على رأس عبيده فى صحن الدار وهم يذبحون جزورين كمـا اعتاد كل أسـبوع.. يقبل عليـه صبى يتيم فقير، فيتقدم إلى أبى سفيان مستعطفًا..».

الصبى اليتيم : (لأبى سـفيان) هـلا أعطيتنى قطعة من اللحم أمسـك بها رمقى؟!

أبوسفيان : (غاضبًا فى غلظة) أغرب عن وجهى قبحك اللّه..

«يعـدو أبوسفيان وراء اليتيم ، يقرعه بعصاه ، فيفر الصبى من أمامه مذعورًا مهانًا مسكينًا!!!»

* * *

«دار أبى جهل بمكة وبمجلسـه بعض أكابر قريـش.. يدخل عليهـم صبى يتيم رث الثياب، لا تـكاد ثيابه الرثة تسـتره.. اليتيـم فى كفالة أبى جهـل ، يتقدم إليه على اسـتحياء يطلب قليلاً من ماله الذى لديه، يكسـو نفسـه ويتبلع بـه.. ولكن أبا جهل ينهره نهرًا عنيفًا، ويصرفه صرفًا غليظًا.. يشرع الصبى فى الانصراف يائسًا حسيرًا.. فيلاحقـه كبراء قريش بسخريتهم..».

بعض زعماء قريش : (للصبى اليتيم) لماذا لا تذهب إلى محمد ، قل لمحمد يشفع لك ؟!!

«يضحكون ساخرين، وينصرف الصبى يحسب فى انكساره أنهم يصدقونه النصح!!»

* * *

«دار محمد عليه السلام فى مكة.. يدخل عليه الصبى اليتيم، يلتمس شفاعته إلى أبى جهل ليعطيه بعضًا من ماله لديه ليكسو نفسه، ويتعيش به.. ما يكاد محمد يسمع شكايته، حتى ينهض معه لفوره، فينطلق به إلى دار أبى جهل.. يمران فى طريقهما بمجلس قريش بظاهر الكعبة.. يلمحهما نفرٌ من قريش!! فيتضاحكون، مستهزئين!!!».

قرشى : (للآخرين – ساخرًا) أرأيتم.. إن محمدًا هو الذى سيقتضى لليتيم حقه من أبى الحكم ؟!!

«يتضاحك القرشيون.. على البعد يبدو محمد عليه السلام يقرع باب أبى جهل، ما يكاد يفتح ويرى محمدًا ومعه الصبى، حتى يستقبلهما ببشاشة مرحبًا.. يطلب إليه محمد أن يؤدى لليتيم بعضًا من ماله، فيسرع أبو جهل إلى داخل الدار، يخرج بعد برهة ومعه بعض المال، يعطيه للصبى، بينما ينصرف محمد عليه السلام ومعه اليتيم.. القرشيون يرقبون ما يجرى على مرمى

البصـر فى تعجب.. يقبـل عليهم أبو جهل فى أعقاب محمد وصاحبـه.. فما يكاد محمد يبتعد حتـى يتضاحـك القرشـيون سـاخرين من أبى جهل!!!».

القرشيون : (لأبى جهل مداعبين) أتراك صبوت يا أبا الحكم؟!!!

«يتضاحكون»

أبوجهل : لا، واللات والعزى ما صبوت؟!!!

قرشى : فما أجبرك إذن على ما صنعت.. (مسـتدركًا) وقد كنت رددت الصبى ردًا غليظًا عنيفًا؟!!!

أبوجهل : ويحكـم، واللات والعزى مـا عدلت ولا صبوت، ولكنى رأيت عـن يمين محمد ويسـاره حربة خفت إن لم أجبه أن يطعننى بها...

قرشى : (مداعبًا) أرأيتم يا سـادة قريش؟!.. لقد شـبه على أبى الحكم من الروع!!!

«يتضاحـك القرشـيون هـازئـين مداعبين، بينما يبدو أبوجهل مهمومًا ، وكأن على رأسـه الطير!!!».

* * *

«محمد فـى خلوته يتعبـد ويتحنث، يتنزل عليه جبريل عليه السلام بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو) ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾[سورة الماعون: الآيات: ١ ـ ٣]

(يرتفع الوحى)

«مكــة.. بظاهر الكعبة.. محمــد عليه الصلاة والســلام خارج من الكعبة فى طريقه للانصراف، فيعترضــه من عتــاة قريش: الوليد بــن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن عبد العزى، وأمية بن خلف.. فيستوقفونه متوددين»..

أحدهم : يــا محمــد، ألم نعرض عليك أن نعطيك مــالاً حتى تكون أغنى رجل بمكة؟!

ثان : (مستكملاً) وعرضنا عليك أن نزوجك من شئت من النساء، وأن نطأ عقبك.. ألا نمشى إلاّ خلفك..

ثالثهم : كل هذا لك يا محمد ، وتكف عن شــتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء!! «محمد صامت هادئ.. لا يرد»

رابعهم : (مســتدركًا) فإن لم تفعــل، فإنا نعرض عليك خصلةً واحدة لك ولنا فيها صلاح.

محمد : (باقتضاب) ما هى؟!

الأربعة : هلم يا محمد، تعبد آلهتنا، ونعبد إلهك.. ثم تعبد آلهتنا، ونعبد إلهك.. تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة..

محمد : معاذ الله أن أشرك بالله غيره..

«يشرع محمد فى الانصراف».

الأربعة : (محاولين استبقاءه) فإن كان الذى جئت به خيرًا مما بأيدينا، وكنا شاركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه.. وإن كان الذى بأيدينا خيرًا مما فى يدك كنت قد شــاركتنا فى أمرنا، وأخذت منه بحظك!!

محمد : (وهو ينصرف ماضيًا فى سبيله) معاذ الله أن أشرك بالله غيره..

* * *

«بعـد فترة وجيـزة.. ما يكاد محمـد يفارق هذا الجمع، حتى يتنـزل عليه جبريل بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الكافرون: الآيات: ١ ـ ٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمـد عليه السـلام يبـادر إلى الكعبة.. ما يكاد يدخل حتـى يصادفه رهط من قريش فيهم الرباعى: الوليـد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسـود بن عبد المطلب بـن عبد العزى، وأمية ابن خلف.. فيقف عليه السـلام على رؤوسهم.. يتلو عليهم مانزل من آيات ربه..».

محمد : (يقرأ) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[سـورة الكافرون: الآيات: ١ ـ ٦].

«ينظر طواغيت قريش بعضهم إلى بعض، وقـد ملأهم اليأس.. لايحيرون جوابًا، ولا ينطقون »

* * *

«بعد زمن – فى مكــة يلتقى طواغيت قريش بمحمــد.. فيذكرون مــا قاله ويقولــه لهـم فـى آلهتهـم وما يعبدون وما عبده آباؤهم وأجدادهـم.. فيعاتبونه...».

القرشيون : أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟!!!

قرشى : أتصف آباءك وأجدادك بالكفر؟!

«محمــد عليــه الســلام يمضى فى ســبيله.. لايلتفت إلى عتابهم.. ولايرد على حديثهم..».

«محمد ﷺ فــى خلوته فى تعبــده وتهجده وتحنثه.. يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمــد): ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ ﴾ [سـورة الزمر: الآيات: ٦٢ ـ ٦٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمــد عليه الســلام فــى خلوتــه يتعبد.. تمــر بخاطره أطيــاف من ســفاهات ولجاجات المشــركين، وإنكارهم وصدهــم.. وأباطيلهم.. لا يفهمــون ولا يعقلون ولا يتأملون آيات الله الدالة

عليــه فى خلقــه.. يتعجب من العمــى الضرير الــذى خيم على قلوبهم وأفئدتهم وأبصارهم.. ما بالهم لا يفقهون حديثًا، ويردون البرهان الساطع باللجاجة والنكير.. ترى بماذا يخاطبهم، وكيف يهدى عقولهم الشــاردة وقلوبهم الضالة.. وإذ هو فيما يلم يخاطره من أطياف وتســاؤلات.. يتنزل عليه الروح الأمين لافتًا إلى ما فعله سبحانه وتعالى بأصحاب الفيل.. داعيًــا إياه أن يخاطب هؤلاء المعاندين ببرهان ربه الذى سبق ووقع على ذات أرضهم حماية للبيت العتيق الذى كان أول بيت وضــع للناس ببكة مباركًا.. وبارك ســبحانه من حوله..

جبريل : (يوحــى إلى محمد ويتلو عليــه).. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾[سورة الفيل: الآيات: ١ ـ ٥].

(يرتفع الوحى)

* * *

٨

أفرأيت الذى تولى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾

[سورة الفلق]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾

[سورة الناس]

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

[سورة الإخلاص]

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ *
وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

[سورة النجم]

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾

[سورة القيامة]

«الرسـول فى فراشـه بداره بمكة.. وقد اشتد بـه مرض أمسـك بـه وطـال.. لا يعرف ولا مَنْ حولـه له كُنْهًا ولا سـببًا!!.. يعوده المسـلمون الأوائـل تباعًـا، فلا يـكادون يعرفـون للمرض الغريب علة تشفى قلقهم على الرسول أو تجيب على تسـاؤلاتهم.. يتحدث البعض أنه من سحر يهـود.. ومنهم مـن يتحدث بأنهم دسـوا عليه رجـلاً منهم يقال له لبيد بن أعصم.. دس السـم فـى بئر لبنى رزيق.. منهـم من ذهب ينزح الماء مـن البئر، ومنهـم مـن أخرج مـا يجرفـه منها.. لا يـكادون يسـتقرون على حـال.. يزيد مرض الرسول الذى طال من اضْطِراب قلوبهم، وشتات نفوسهم.. ولكن محمدًا عليه السلام لا يلتفت إلى شـىء من ذلك، ولايتجه إلا إلى ربه سـبحانه.. ماهـى إلا أيـام حتى يتنزل عليـه جبريل عليه السلام بكلمات ربه..

جبريل : (يتلـو على محمد).. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفلق: الآيات: ١ـ ٥].

«مـا يـكاد محمد يردد بلسـانه مـا أتاه بـه جبريـل، حتى يوافيه..».

جبريل : (لمحمد) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[سورة الناس: الآيات: ١ - ٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى ﷺ خالد إلى تأملاته.. يعجب من عناد المشركين، وما يبتدعونه من مبتدعات لإعناته.. لا يتركون أحبولة إلا أشهروها، ولا شيئًا يظنون أنه يعجزه إلا أثاروه.. لا يكلون، ولا يهدأ شرهم عن افتعال الأفاعيل كل يوم.. هاهم يقولون له «انسب لنا ربك».. يظنون أن الله شخص مثلهم يرد عليه نسب ووصف.. يقول بعضهم إن نعته ووصفه سبحانه ورد فى التوراة، فلماذا لا يخبرهم عليه السلام من أى شىء هو ومن أى جنس أو نوع.. أهو من ذهب أم من فضة أم من نحاس؟!!!.. هل يشرب ويأكل كما يشربون ويأكلون؟!.. كيف آلت إليه الدنيا وممن ورثها.. وإلى من سوف يورثُها؟! ..أليسوا يرثون ويورثون، فلماذا لا يرث الله ويورث الدنيا من بعده ؟!!.. تبًّا لهم ، ألهذا الحد وصل بهم سفههم وعبث عقولهم وشرود ضلالاتهم؟

محمـد فـى تأملاته ، يتنـزل عليـه الروح الأمين»..

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[سورة الإخلاص: الآيات: ١ ـ ٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قريش وقد شنفت للوليد بن المغيرة واهتاجت بعد أن تسـربت إليها أنباء بأنـه آمن بمحمد، وتابعه علـى دينه، وأنه يتحـدث فى القرآن، ويمتدحـه، ويقـول فيه قولاً جميـلاً.. تأخذهم الدهشة والغضب.. يجمعون وفدًا منهم ويلحقون بالوليـد بـن المغيرة بمجلسـه بظاهـر الكعبة.. يبتدرونه معايرين»..

قرشى : (معايرًا) لمَ تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت ما يزعمه محمد أنهم فى النار؟!

الوليد : إنى خشيت عذاب اللّه!

قرشى آخر : (مرددًا فى استنكار) خشيت عذاب اللّه؟!.. ما هذا؟!!

قرشى ثالث : (مقاطعًا) هل لك فى عطاء، وتعود إلى ديننا، ونتحمل عنك عذاب اللّه؟!

«يبدو التردد والنكوص على وجه الوليد..».

القرشى الأول : (معاتبًا) ألم تكن قد مدحت القرآن الذى يدعى محمد

أنــه يتنزل عليه، وقلت فيه كلامًا جميلاً.. (يســتأنف) هل سحرك محمد؟!

«يحاصره القرشــيون بالعتــاب والمعايرة، فلا يقــدر على مناوءتهــم.. ينهــزم أمامهم فينكص ويعطيهــم عهدًا بألاّ يعــود إلى ما كان يمتدح به القرآن.. يرضى القرشــيون بنكوصه، ويرتاحون إلى مــا أعطاهم من عهــد.. ينصرفون عنه، بينما هو جالس وكأن على رأسه الطير.. لا يدرى إلام نكص، ولا لماذا ســلم لهم بما يريدون... يمضى مهمومًــا مضطرب النفس والفؤاد على ما كان منه من عهد بالنكوص والإمساك عن امتداح القرآن!».

* * *

«محمد فى خلوته يتعبد.. يتنزل عليــه الــروح الأمين..».

جبريل : (يتلــو علــى محمــد) ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[سورة النجم: الآيات: ٣٣ ـ ٤١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمـد وحوله بعـض رؤوس قريش.. فيهم عتبة بن ربيعة، وشـيبة بـن ربيعة، وأبوجهل عمرو بن هشـام، والعباس، وآخرون من سـادة قريش.. وقد اشتد بينهم الحوار.. النبى لا يزال يرجو إقناعهم عسـى أن يهتـدوا إلى نور اليقين ويسـلموا.. يحاورونه ويـرد عليهم ويبين لهم.. يدعوهم بحرارة إلى الإسلام رجاء أن يسلم غيرهم بإسـلامهم.. وإذ هم فى حوارهـم يقترب ضرير بسـيط هـو ابـن أم مكتوم يتـوكأ على عصاه.. يحـاول أن يتلمـس طريقه.. تملـك عليه رغبته فـى الوصول إلى النبى كل نفسـه.. لا يرى ماذا يجـرى، ولا ماذا يتغيـاه النبى.. فلا يحفل بما يتناهـى إلى سمعه مـن حوار سـاخن، فيقتحم الحديث الجارى مقاطعًا»..

ابن أم مكتوم : (معاجلاً) يا محمد.. استدننى..

يارسول الله أرشدنى.. علمنى مما علمك الله..

«النبى منشـغل فى حديثه، يبدو غير مرتاح لهذه المقاطعة.. وابن أم مكتوم ماض فى إلحاحـه ونداءاتـه لا ينى ولا يتمهـل ولا ينتظر.. ينادى، ويكثر النداء.. يبـدو الضيق والعبوس على محيا النبـى وقـد كان يأمل أن يلـين لدعوته صناديد قريش..»

«بـدار النبـى عليه السـلام، وقـد آب إلـى

خلوتـــه ..لا يكاد يخلو إلى نفســه حتى يوافيه الروح الأمين بكلمات ربه»..

جبريل : (يتلــو على محمــد) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [سورة عبس: الآيات: ١ – ١٠].

(يرتفع الوحى)

«يخرج النبى عليه الســلام وجلاً آسيًا يتلمس ابــن أم مكتوم.. لا ينى حتى يجده.. يقبل عليه النبى حانيًا.. يناديه ، ويترفق به.. يســأله عن حاجته، ويجيبه.. ويفيض عليه ببرّه وعطفه..»

«الأيــام تمضى، والنبــى لا تفارقــه حفاوته بابــن أم مكتــوم ـ لا يراه إلا ويبســط له رداءه.. ويقول له: مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى.. هل من حاجة فأقضيها لك؟»

* * *

«مكة.. سنوات المبعث، دعوة الإسلام تمضى قدمًــا ـ ببطء، ولكن بخطوات واثقة.. تتســامع قريش فــى وجل وترقب وتوجــس بالأنباء التى تأتيهــا ما بين يوم وآخر عن إيمان واحد أو أكثر من الأشراف أو من العبيد والمستضعفين.. تتسامع فى ترقبها وقلقها بما يتنزل على محمد من قرآن..

فى هذه الفترة الأخيرة يتلاحق نزول الوحى على الرسول عليه السلام.. يوافيه الروح الأمين بسور الشمس، ثم البروج، ثم التين، ثم قريش، فالقارعة.. تلفت أنظار المتلقين إلى ما يحفل به الكون من آيات قدرة ووحدانية الخالق.. ما فى الشمس، وضحاها.. وما فى القمر إذا تلاها.. والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها.. والسماء وما بناها... والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها سبحانه فألهمها فجورها وتقواها.. السماء ذات البروج، واليوم الموعود.. وقصص أصحاب الأخدود.. القسم بالتين والزيتون وطور سينين، والإنسان الذى سواه الله فى أحسن تقويم، ثم رده أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وقريش، كيف لا يعبدون رب البيت العتيق، الذى أطعمهم سبحانه من جوع وآمنهم من خوف.. ألا يدرك الناس القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهْن المنفوش.. يوم يحمل الإنسان إلى ربه موازينه، من ثقلت.. فهو فى عيشة راضية، ومن خفت فمآله إلى الهاوية: النار الحامية.. يتلاحق نزول الآيات على محمد، فيخشى أن يفوته سهو أو نسيان.. إذا نزل عليه الوحى، يبادر فيحرك لسانه بما نزل عليه من قرآن، يريد أن يحفظه.. وإذ هو فى حرصه الحريص على حفظ التنزيل الحكيم، يحرك به لسانه وشفتيه مخافة

أن ينفلت منه أو يفوته شيء.. تأتيه كلمات ربه حانية مطمئنة لتفرخ روعه وتسكن نفسه.. يتنزل عليه جبريل عليه السلام بسورة القيامة، فيلقنه مما لقنه منها من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[سورة القيامة: الآيات: ١٦ ـ ١٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«الحكم بن أبى العاص فى داره بمكة، بادى الثورة والهياج وقد بلغه أن عثمان ابن شقيقه عفان.. قد صبأ وآمن بمحمد.. يدخل عليه عثمان ملبيًا استدعاءه له، فيبادره الحكم فى غلظة فيشد وثاقه ويهدده بأن يرجع عما هو فيه.. أو ليعذبه ويعصف به..».

الحكم بن أبى العاص : (ثائرًا) أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟!! واللات والعزى لا أحلك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين!!

عثمان : (لعمه فى هدوء وثقة) والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه.. ما أنا عابد أصنامًا بعد أن شرح الله صدرى للإسلام، فقد وجهت وجهى للذى خلق السموات والأرض!

«الحكم بن أبى العاص يثور ثورة عارمة، فيدعو إليه رجاله ويأمر بحبس عثمان وتقييده بالحديد، وحرمانه من الطعام والشراب.. الرجال

ينفذون أوامره وعثمان لا تفارقه رباطة جأشــه، ولا أدبه المعروف عنه.. يزداد غيظ الحكم !!».

الحكم : (مهددًا وهو ينصرف) ستظل هكذا حتى تعود إلى رشدك، وترجع إلى ملتنا!!!

«عثمان لا يبالى.. تمضى أيام ولا تفلح سياسة الحكم، ويدرك أنه لا حيلة له مع ابن شــقيقه.. فيأمر بإطلاق ســراحه.. يلحق عثمان بالمسلمين فرحًا بينما القرشيون يزدادون غمًا وكربًا!!»

* * *

«مكة.. وقريش قد بدأت حملة شعواء لملاحقة كل مــن يســلم.. لم تكتــف بمطــاردة وتعذيب المســتضعفين، وإنما أخذت تطارد من يســلم من أبنائها.. ما كادت حمنة بنت ســفيان بن أمية، أم ســعد بن أبى وقاص تعلم بأن ابنها ســعدًا قد أسلم، حتى تثور ثائرتها.. حمنــة بالــدار مطرقة مغيظة – ما يكاد سعـد يدخل عليها حتى تبتدره ثائرة ...

حمنة : يا سعد، بلغنى أنك قد صبوت!

سعد : يــا أمــى ما صبوت، وإنمــا أتيت محمــدًا الصادق الأمين فآمنت بأنه رســول الله ليهدينا إليه بدلاً من عبادة أحجار لاتضر ولا تنفع!

حمنة : (وقد ازدادت ثائرتها) إننى بريئة منك! فواللات والعزى، لايظلنى سقف بيت من الضخ (الشمس) والريح.. ولأقومن

فـى العـراء ليلاً ونهـارًا، ولا آكل ولا أشرب، حتى تأتينى الإبل، أو تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه..

سعد : (مترفقًا) يا أماه، ما كنت بالذى يكفر بعد أن هدانى الله!

حمنة : واللات والعـزى، ما آكل ولا أشرب حتى ترجع عما أنت فيه..أو أموت فتعير بى!

سعد : بالله لا تفعلى يا أماه.. فإنى لن أدع دينى.. لا تطمعى أن ترديـنـــى إلى الضلال بعد الهدى، وإلى الكفر بعد الإيمان ! فوالله الذى لا إله غيره لا أترك هذا الدين أبدًا!

«ينصرف سعد بادى القلق على أمه، ولكن لا يختلج له يقين..».

* * *

«بعد يوم بدار ســعـد بن أبى وقاص.. يجلس إليه قرشى من أقربائه..».

القرشى : (فـــى إلحـــاح) ألا تترفـــق بأمـــك يـــا ســـعد.. ألا ترحم شيخوختها؟!

سعد : والله ما أعلم ابنًا أبر بأمه منى.. أما هذا الذى تريده فلا..

القرشى : لقد أشـــرفت أمك على الهلاك.. ألا تعلم أنها صامت عن الطعام والشراب منذ البارحة؟!!..

سعد : والله ما كنت أحب لها أن تفعل بنفسها ذلك!!..

القرشى : فما منعك إذن من أن ترضيها يا سعد ؟! لقد صبرت على تربيتك منذ وفاة أبيك.. كانت لك أمًا رؤومًا!!

سعد : أتريدنى أن أرجع عن إسلامى بعد أن هدانى الله لأرضيها؟!!

أبدلاً مـن أن أهديهـا أعـود أنا إلى الكفر؟! (مستطردًا).. لن أبيع إيمانى ودينى حتى ولو كلفنى ذلك حياتها!!..

القرشى : على رسلك!!..

«ينصرف القرشى مغاضبًا..»

* * *

«بدار سعد.. بعد يوم آخر..».

القرشى : لقد أشرفت أمك يا سعد على الموت .. إن حالتها تذيب الصخر!!

سعد : (فى إصرار) لن أدع دينى بعد أن هدانى اللّه..

القرشى : (يزداد إلحاحًا ورجاءً) إنـها تعانى سكرات الموت!!

سعد : ومـاذا أصنع.. ما تطلبه محـال؟!.. قد حاول أخى أن يطعمها بالقوة فأبت!..

القرشى : لعلك تنجح فى إثنائها يا سعد.. تعلم كم تؤثرك !

سعد : ذلـك فنعم.. أما ما تريده ، فبينها وبينه ما بين السـماء والأرض..

* * *

«فـى إحـدى غـرف الـدار.. أم سـعـد بادية الوهن فى الفراش.. يدخل عليها سعد..

سعد : (فى عطف) ألا تأكـلى يا أماه.. لقد أشرفت على الهلاك!!

حمنة : (لائمة فى وهن) إذن عد إلى دين آبائك وأجدادك يا ولدى..

سعد : (فـى إصـرار حنون) قلت لك مرارًا يا أماه إننى لن أترك الإسلام، فارجعى عما أنت فيه..

حمنة : (فى عناد واهن) لتتركن دينك، أو لا آكل ولا أشرب إلى أن أموت.. فَتُعيّر بى!!

سعد : (فى إصرار) تعلمين والله يا أماه.. لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نَفْسًا نَفْسًا، ما تركت دينى هذا لشىء.. إن شئت فكلى – وإن شئت، فلا تأكلى!!..

* * *

«بظاهر الكعبة.. سعد بن أبى وقاص جالس بمفرده.. يقترب منه قريبه القرشى بادى السرور..

القرشى : أبشر يا سعد.. لقد رجعت أمك عن عنادها.. وأكلت..

سعد : ما كنت بالذى يترك دينه.. مهما كان.. أو يكن!!..

* * *

«بعد فترة.. محمد عليه السلام فى خلوته يتعبد ويتهجد.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة لقمان: الآيات: ١٤ – ١٥]..

(يرتفع الوحى)

* * *

٩

« ملحمة المعذبين فى الله ! »

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦
وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ
وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ
۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾

[سورة الرحمن ١- ١٣]

«مكة، وجو التربص الخانق لا يزال مخيمًا عليها وعلى من حولها.. لاتزال رؤوس الكفر من قريش علــى عجزها عن فهــم وإدراك حقيقة ما أتى به محمد.. هذه أول مرة تصادفهم لغة خلاف اللغة التــى يعرفون.. الدعــوة الهادية تزحف بخطى حثيثة مخاطبة الوجدان والعقول والقلوب، بلغة غير اللغة التى تعرفها وتجيدها قريش: لغة القوة والبطش والاستعلاء!!.. ما بال محمد وصحبه من الفقراء والمســتضعفين يجدون من قبول الناس ما عجزت عنه قريش بمكانتها ومالها وجبروتها.. يطيــش صواب قريش ويزداد ســعيرها.. تتعقب المؤمنين بالعذاب والنكال.. لا تترك مستضعفًا ولا شريفًا.. تلاحق بشوكتها وبطشهــا وجبروتهــا – العبيد والمستضعفين، وتميل على شباب الأشراف الذين أسلموا بالحيلة والاسترضاء تارة، وبسلطة الآباء والكبار تــارات.. بالأمس اجتاحت أبا ذر الغفارى يوم اجترأ وأعلن إســلامه، وهى لا تنى عن ملاحقــة النبى بإعناتهــا وإيذائها.. لم ينج من شــطحاتها أبناء الأشــراف.. هــا هو عثمان ابن عفــان قد احتمل من بطــش عمه الحكم بن أبى العاص مــا احتمل من قيود وحبس وارتهان وتجويع.. وها هو ســعد بن أبــى وقاص يتصبر علــى إضراب أمه عن الطعام طلبًا للموت أو يرتد

عــن دين الله.. وهــو لا يريـم، وهـــا هـو بلال قـــد تعـرض لما تعــرض له من عــذاب وتنكيل حتـــى أعتقه أبو بكر وأطلقه.. تتحدث مكة كلها بملحمـــة المعذبين فـى الله.. ويتناقلون ما يجرى فـى بطحـاء مكة، وفى بيوت الأشــراف أيضًا، مـــن أهوال الإيذاء والتعذيـــب.. بلال وما حدث معه، وعمار وأبوه ياســر وأمـــه سميّة.. وخباب ابن الأرت وصهيب بن سنان.. حتى الأشراف: سعد بن أبى وقاص، وخالد بن سعيد بن العاص وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام ومصعب ابـــن عمير.. لم تعدم قريش وكبراؤها الـوســائل لتهديدهـم والتضييق عليهـم وإيذائهـم وترويعهـم ليرجعـوا عـن الإسلام!!»

* * *

«رهط من أشراف قريش ، فيهم سعيد بن العاص، مجتمعون يتسامرون بظاهر الكعبـة.. يلحـق بهـم أبو سفيان، – فيبادر سعيد بن العاص ساخرًا»..

أبو سفيان : (ساخرًا) تجلس هنا يا سعيد وابنك خالد قد صبأ؟!

سعيد بن العاص : (مرددًا فى دهشة مشوبة بالقلق) صبأ؟!!

أبو سفيان : (مستهزئًا) كأنى بك لا تعرف؟!!

سعيد : (مستحثًا) قل يا أبا سفيان.. قل.. ماذا تعنى؟..

أبو سفيان : لقد تـرك ابنك خالد ديننـا ودين آبائنـا وأجدادنا وتابع محمدًا ..

سعيد : أتسخر منى يا أبا سفيان؟

أبو سفيان : واللات والعزى لم أقل لك إلا صدقًا..
(مستأنفًا) اذهب لابنك واسأله..

سعيد : تبًّا لـه، سأفعـل.. وويل له إذا كان قد فعـل ما تقـول..
(وهو يبتعد) ويل له.. ويل له ..

* * *

«فى منزل سـعيد بن العاص، – يدخل سـعيد ثائـرًا مهتاجًا – يصادف ابنـه خالدًا.. فينتهره ويهـم بضربه بمقرعة فى يـده فتحول بينهما أم خالد بنت خباب بن عبد ياليل الكنانية..

سعيد بن العاص : (غاضبًا) أصحيح ما سمعت يا خالد؟..

خالد بن سعيد : (هادئًا) وماذا سمعت يا أبتاه؟..

سعيد : (غاضبًا) أصحيح أنك اتبعت محمـدًا وأنك تسمعه يعيب آلهتنا؟..

خالد : أما تريد أن تعرف يا أبتاه؟!

سعيد : فما تريد أن تسمعنى يا لكع؟!

خالد : رأيـت يـا أبتاه فى منامى أننى واقف على شـفير لنار مهولة ورأيـت فيما يرى النائم كأنـك يا أبتاه تدفعنى فيها.. ورأيت رسول الله آخذًا بحقوىّ (بخصرى) حتى لا أقع فيها ففزعت من نومى ، وأحلف بالله يا أبتاه أن هذه لرؤيا حق..

سعيد بن العاص : (سـاخرًا يحاول كتم غضبه وثورتـه) مرحى مرحى.. فماذا بعد يا لكع؟!

خالد بن سعيد : قد لقيت أبا بكر بن أبى قحافة، فذكرت له الرؤيا التى شاهدت، فطمأننى إلى أن الله قد أراد بى خيرًا، ودلنى على رسول الله.

«سعيد بن العاص يترقب مغيظًا يكتم ثورته حتى يسمع..»

خالد : (مستأنفًا) لقيته وهو بأجياد، فقلت له: يا محمد إلام تدعو؟ قال: أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وخلع ما أنا عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، ولا يدرى من عبده ومن لم يعبده.

سعيد : (ساخرًا وقد انفجر غضبه) مرحى مرحى..

خالد : (يمضى فى ثبات متجاهلا ثورة أبيه) فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

«سعيد بن العاص يهجم على ابنه خالد بالمقرعة حتى انكسرت على رأسه.. وأم خالد تحاول كفه بيد أن سعيدًا تتزايد ثورته..

سعيد : أتتبع محمدًا يا ابن السوء، وأنت ترى خلافه وقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم؟!

خالد بن سعيد : (ولم يزايله هدوؤه) إنه والله لصادق، ولقد آمنت به واتبعته.

سعيد بن العاص : (وقد ازداد غضبه) ويل لك.. وتكررها أمامى؟..

(وهو يضربه بعصاه) خُذْ يا صابئ.. خُذْ..

خالد بن سعيد : (فى ثبات وإباء والضرب لا يزال منهالاً عليه).. قد صدق والله واتبعته.. إنه لصادق وإنى به لمؤمن.. إنه والله لصادق..، وإنى به لمؤمن..

«ينصرف سعيد مردداً شتائمه لايلوى على شيء... يصدر أوامره قبل المغادرة بحبس خالد ومنع الطعام والشراب عنه..»

* * *

«بعد يومين فى مجلس أشراف قريش بظاهر الكعبة».

أبو سفيان : (متلهفًا) ما خبر خالد يا سعيد؟..
(مستأنفًا) أتراه قد رجع لديننا؟

سعيد بن العاص : لا تسخر يا أبا سفيان، قد واللات أذقته من صنوف العذاب ألوانًا. ولكني لا أرى إلاّ أن محمدًا قد سحره..
(مستأنفًا).. لقد ضربته، وحبسته، ومنعت عنه الطعام والشراب.. ولكن لا جدوى!!

أبو سفيان : وماذا أنت فاعل؟.. أستتركه وما يريد؟!

سعيد بن العاص : (مغتاظًا) لا واللات والعزى.. لآخذنّه إلى رمضاء مكة.. ولأجبرنّه على العودة لديننا..

* * *

«فى رمضاء مكة.. سعيد بن العاص فى نفر من رجاله، يضربون نجله خالدًا الذى بلغ به العذاب كل مبلغ!!».

خالد بن سعيد : (ينادى وهو يتأوه) ماء.. ماء..

سعيد بن العاص : هيه.. ماذا تقول الآن فى صاحبك محمد والدين الذى جاءكم به؟!

خالد بن سعيد : (وهو يغالب الألم) خير نبى، وخير دين..

سعيد بن العاص : (وقد ازداد ثورة) سأدعك تموت جوعًا وظمأً..

خالد بن سعيد : ولكنى يا أبتاه لن أدع الإسلام لشىء..
(يغالب الألم) سأحيا به وأموت عليه..

سعيد بن العاص : (يائسًا نافد الصبر).. إذن فاغرب عنى يا لُكَع..
اغرب عنى.. فواللات والعزى لأمنعنك القوت والميراث..

«يقترب رجال سعيد بن العاص، يفكون وثاق خالد.. ينهض مبتعدًا..»

خالد بن سعيد: (وهو ينصرف مرددًا) والله خير الرازقين..

* * *

«أزقة مكة.. على مرأى البصر من الصفا والمروة.. جمهرة من الناس تتابع فتى شابًا أوثقت يداه إلى عنقه.. يدفعه البعض، ووراءه امرأة تدمدم وتسبه.. بينما سفهاء صبيان مكة يتابعونه بصياحهم وسخرياتهم... »

«مسعود بن خراش يخرج من بين الصفا والمروة.. يصادف أحد المكيين فيستوقفه..».

مسعود بن خراش : (للمكى وهو يشير إلى الفتى المقيد) من الرجل؟

المكى : طلحة بن عبيد الله.

مسعود : وما شأنه؟

المكى : صبأ! وتابع محمدًا..

مسعود : ومن هذه التى تلاحقه وتسبه ؟

المكى : إنهـا أمه الصعبـة بنت الحضرمى.. إنهـا لا تكف عن إيذائـه منذ أسـلم، تريده أن يرجـع إلـى دين آبائـه، ولكنه صابر لا يريم..

* * *

«دار الزبير بن العوام بن خويلد بمكة.. الزبير فـى نحو الخامسـة عشـرة.. عم الزبـير واقف بصحن الـدار وقد أمر بالزبـير فلفوه فى حصير ودخن عليه بالنار تزهق أنفاسه أو تكاد.. يناديه العم مغلولا..».

العم : (مهددًا) اكفر برب محمد، أدرأ عنك هذا العذاب.

الزبير : لا. والله لا أعود للكفر أبدًا ..

«يتواصل مشـهد التحريق والعـذاب، ولكن العـم لا يبلـغ مـن الزبير شيئًا!!»

* * *

«خناس بنت مالـك أم مصعب بن عمير فى دارهـا بمكـة.. يدخل عليها قريبهـا عثمان بن طلحة..».

عثمان بن طلحة : (صائحًا) يا أم مصعب.. يا أم مصعب..

خناس بنت مالك : (قلقة) عثمان؟!.. خيرًا.. ماذا وراءك؟!..

عثمان بن طلحة : مصعب..

خناس بنت مالك : (جزعة) مصعب؟!.. أوقع له مكروه؟! أخبرنى..

عثمان بن طلحة : قد صبأ ورب الكعبة.. قد صبأ مصعب..
خناس بنت مالك : صبأ؟!.. ماذا تقول.. ولدى مصعب؟!!
عثمان بن طلحة : ترك دين آبائه وأجداده، وتابع هذا المدعى محمدًا!..
خناس بنت مالك : ماذا تقول.. ولدى مصعب لا يفعل ذلك.. إنه طوع بنانى..
عثمان بن طلحة : إنه يتردد على دار ابن الأرقم حيث يجتمع محمد بأتباعه وأصحابه؟!
خناس بنت مالك : (مرددة فى دهشة) دار ابن الأرقم؟!
عثمان بن طلحة : قـــد رأيته لتوى خارجًا من هناك.. اســألیه يا خناس ، فلا أظنه يستطيـع الإنكار..

* * *

«بالــدار.. يدخـل مصعب بن عمير علـى أمه خناس ، فلا تكاد تراه حتى تبادره..».
خناس بنت مالك : (بقلق كأنها تكذب نفسها) ما هذا الذى سمعته يا ولدى؟!
مصعب : ماذا سمعت يا أماه؟..
خناس بنت مالك : أَصحيح أنك صبأت يا ولدى؟!..
مصعب : (منكرًا) صبأت؟!!!
خناس بنت مالك : صحيــح إذن ما سمعته من أنــك تختلف مـع أصحابــه إلـى دار ابن الأرقم.. (مهددة) الويل لك..
مصعب : هدئى روعك يا أماه.. والله ما فعلت إلا الخير..
خناس بنت مالك : (مــرددة) الخير؟!.. أى خير يا عاق.. واللات والعزى إن لم تعد إلى ديـن آبـائك ما كنت لى ابنًا ولا كنت لك أمًا..
مصعب : أنت وما تريدين يا أماه..
خنــاس بنت مالك: أتعصى أمرى يا مصعب؟..
مصعب : ما كنت لأرتد بعد أن هدانى الله..

مصعب : ما كنت لأرتد بعد أن هدانى اللّه..

خناس بنت مالك : (متوعدة).. أتخرج عن طوعى؟!

مصعب : ما خرجت عن طاعتك يا أماه.. ما فعلت سوى أنى آمنت باللّه الواحد الأحد.. أليس الأجدر بك أن تثوبى إلى الحق وتؤمنى بخالق السموات والأرض ورب العالمين ؟!

خناس بنت مالك : تبًّا لك من ولد عـاق.. أتريدنى أن أصبأ أنا الأخرى؟!.. تبًّا لك؟!..

مصعب : شأنك يا أماه..

خناس بنت مالك : سأحرمك من نعمتى ، وسأمنع عنك مالى..

مصعب : ليست لى حاجة إلى مالك يا أماه..

خناس بنت مالك : (ثائرة) أهكذا ؟.. (صائحة فى خدم الدار) خذوه وقيدوه واحبسوه!

* * *

«بعد أيام.. وقد يئست أمه خناس من حبسه ، وفكت إســاره.. بحى من أحيــاء مكة.. يمضى مصعب فى أسمال بالية ممزقة إلى دار الأرقم».

مكى : (لآخر بأحد أزقة مكة).. أترى هذا الفتى؟!

المكى الثانى : ما باله؟!

المكى الأول : أتصدق أن صاحب هـذه الأسمـال هو مصعب بن عمير؟!

المكى الثانى : فما فعل به ذلك.. عرفته يرفل فى الترف والنعيم!

المكى الأول : غضبت أمه عليه فقد صبأ.. (مستأنفًا) حبسته زمنًا ، – فلما يئست منه أطلقته.. ولكنها قبضت عنه يدها!! واللات ،

– لقد رأيــت مصعبًا هذا وما بمكة فتى أنعم عند أبويه منه، ثم ها هو ترك هذا كله حبًّا لله ومحمد.

* * *

«بيت أم أنمـار فـى مكـة.. امـرأة من خزاعة، كانت قد اشــترت خباب بن الأرت الذى خُطف وهــو غلام من قبيلته بنى ســعد وبيع فى مكة، فاشــترته.. وعــاش فى بيتها ســنوات يخدمها ويعمل بالحدادة.. تأتيها الأخبار من قريش بأن عبدهــا خبابًا قد صبأ وتابع محمــدًا وآمن به.. تستشــيط غضبًا، فتأمر غلمانها بربط خباب إلى عمــود من أعمــدة البيت.. تأمر بالكور فتشــعل فيــه النيران، ويلقى فيــه بالحديد حتى يحمر، فيبادرون به إلى ظهر خباب يكوونه بالحديد مرة بعد مرة ، ويشــتدون عليــه بالعذاب .. يلصقون ظهــره العارى بالرّضف حتــى ذهب لحمه!!.. لا يدعونــه إلا إذا غاب عــن الوعى ، فإذا أفاق لاحقوه بالعذاب مرة أخرى!!»

«النبى فى بعض صحابته يتوســد ببُرد له فى ظل الكعبة.. يأتيه خباب وقد تقرح جســده بما يشبه البرص من جراء التحريـق والكى بالحديد.. يبدو التأثر البالغ على النبى مـن حالـه.. خباب بادى الجزع والهم والألم.. والنبى عليه الســلام يحاول أن يواسيه ويخفف عنه..»

خباب : يا رسول الله ألا تستنصر لنا ؟.. ألا تدعو الله لنا فيخفف عنا عذابنا، ويريحنا من مواليناً؟!

النبى : (داعيًـا إلى الصبر) قد كان من قبلكم يؤخذ منهم الرجل، فيحفر لـه فى الأرض، ثم يجاء لـه بالمنشار، فيجعل فوق رأسه، ما يصرفه ذلك عن دينه! وقد كان ليُمشط أحدُهُم بأمشـاط الحديـد ما دون عظمـه مـن لحـم وعصـب، ما يصرفـه ذلك عـن دينه، ويوضع المنشـار على مفرق رأس أحدهم فيُشـق! ومـا يصرفه ذلك عن دينه! (يسـتأنف مواسـيًا ومشـجعًا) وليظهرنّ الله تعالى هـذا الدين حتى يسـير الراكب مـن «صنعاء» إلى «حضر موت» لا يخشـى إلا الله عز وجل والذئب على غنمه! ولكنكم تعجلون!!

«يهدأ خباب متصبرًا..»

«النبى يرفـع كفيه إلى السـماء داعيًا: اللهم انصر خبّابًا»

* * *

«حى من أحياء مكـة.. دور بنى عبد الدار.. لفيف منهم حول مولى لهـم يعذبونه يقـال لـه: «أبو فكيهة».. يأمـر بعضهم بأبى فكيهة ليقتاد فى قائلة النهار إلى رمضاء مكة..»

«أبو فكيهـة، بادى الوهـن والإعياء، ملقى فى البطحـاء.. يتناوب الرجـال ضربه.. القيظ بالـغ الحرارة.. يتفتق ذهـن أحدهـم عـن تقييد أبى فكيهة بالحديـد.. يبطحونه ويأتى بعضهم

بصخـرة يضعونهـا على ظهـره.. لا يكفون عن جلـده وضربه حتـى يأخذ منهـم التعب.. فإذا ارتاحوا استأنفوا!!».

أحدهم : (لأبـى فكيهـة) ألا ترجع عما أنت فيـه، وتعود إلى دين الآباء والأجداد!!

أبو فكيهة : ما كنت بالذى يترك الله ورسوله بعد أن هدانى الله، لأرتد إلى عبادة أحجار لا تضـر ولا تنفع!!

«يمضى مشـهد العذاب، ولا يزيد أبو فكيهة عن أناته المزوجة بذكر ربه..».

* * *

«لفيـف من المسـلمين بأحد شـعاب مـكة.. بينهـم عبـد الله بن مسعود..».

أحد المسلمين : (غاضبًـا) أمـا آن الأوان لنـرد علـى قريش مـا تكيده لنا وللإسـلام.. لقد أعزنا الله بدينـه.. ونحن على الحق وهم على الشرك والكفر..

مسلم ثان : صدقت والله.. مـا ينبغـى لنا أن نغضى عن غيهم بعد اليوم.

المسلم الأول : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط.. سوف يغيظهم تلاوة آياته البينات بين ظهرانيهم ..

المسلم الثانى : أصبت.. فَمَنْ رجل يسمعهموه؟..

عبد الله بن مسعود : أنا.. سوف أقرأ القرآن على أكبر جمع لهم..

المسلم الثانى : وما لك بذلك يا ابن مسعود؟!.. إننا والله لنخشاهم عليك.. تعلـم أنهم طغاة لن يترددوا فى الانتقـام منك.. إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه منهم إذا أرادوه.

عبد الله بن مسعود : (فى إصرار) دعونى فإن الله سيمنعنى..

* * *

«بجوار البيت العتيق.. جمع من قريش يتسامرون.. يقترب منهم عبد الله بن مسعود..».

عبد الله بن مسعود : (مبادرًا) يا معشر قريش.. يا أهل مكة.. اسمعونى..

«تتصاعد غمغمات وهمهمات قريش يتساءلون عما يريد».

عبد الله بن مسعود : (يتلو بعد برهة) بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾ [سورة الرحمن: الآيات: ١ - ١٣].

أحد القرشيين : (وقد أخذه العجب) ما هذا؟!..

قرشى ثان : ماذا يقول ابن أم عبد ؟..

القرشى الأول : لعله يتلو ما جاء به محمد ! ..

القرشى الثانى : هو ذاك.. أصبت.. إنه يتغنى بهذا الذى يزعمه صاحبهم..

القرشى الأول : تبًا له.. أيجرؤ على ذلك؟.. قوموا إليه نؤدبه على تجرئه علينا..

«يتكالب القرشيون على عبد الله بن مسعود، يوسعونه ضربًا وركلاً حتى أدموه، وألقوه خارج المسجد.. بيد أنه يعاود بإصرار

تلاوة ما كان يتلوه من آيات القرآن..»

* * *

«المسلمون فى مجلسهم.. يلحق بهم ابن مسعود وقد شج رأسه والدماء تغمر وجهه وأسماله».

المسلم الأول : (بقلق ظاهر) ما هذا الذى بك.. ما كل هذه الجراح التى نراها بوجهك وجسدك؟!

المسلم الثانى : تبًا لطواغيت قريش.. ألم نحذرك يا ابن مسعود.. هذا ما خفناه عليك!

عبد الله بن مسعود : ولكنى والحمد لله قد بلغت ما أردت.. لقد صدعت بينهم بآيات الله..

المسلم الثانى : (بترفق) لقد بلغ منك هؤلاء الأوغاد.. تبًا لهم.. هذا ما كنا نخشاه عليك!!

عبد الله بن مسعود : (بتؤدة وثبات) أبدًا والله.. ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن.. ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا.. حبًا فى الله..

* * *

١٠

الإسلام يتقدم
رغم إعنات قريش

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾

[سورة النحل]

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ *
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ *
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * ﴾

[سورة البلد]

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا * ﴾

[سورة الإسراء]

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * ﴾

[سورة القمر]

«مكـــة.. عثمان بـــن مظعون أحد الســـابقين الأولين فى الإســـلام – يجلـس بـــداره مهمومـًا يحاســـب نفســـه على قبوله جـــوار الوليد بن المغيرة ليرد عنه طواغيت قريش..».

عثمان بن مظعون : (محادثًـــا نفســـه) كيـــف يا عثمـــان ترضى لنفســـك جوار مشـــرك بينما إخوانك فى الدين يلقـــون العنت والبلاء!! (فـــى حزن) أأغدو وأروح فـــى أمـــان الوليد بن المغيرة رأس الشـــرك وأصحابى وأهل دينـــى يعانـــون مـــن الأذى مـــا لا يصيبنـــــى!!.. (فى حزم) والله لن يكـــون ذلك بعد الآن أبدًا...

* * *

«منتدى قريـــش بظاهر الكعبـــة.. الوليـــد بن المغيرة فـــى بعض أصحابه مـــن قريش.. يدخل عليهم ابن مظعون».

عثمان بن مظعون : (مبـــادرًا) يا أبا عبد شمس: وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك..

الوليد بن المغيرة : (فى دهشـــة!) لـــم يا عثمـــان! لـــم يا ابـــن أخى؟ (مستطردًا) لعله قد آذاك أحد من قومى؟!!

عثمان بن مظعون : لا ورب الكعبـــة.. ولكنى أرضى بجـــوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره!

الوليد بن المغيرة : إذن.. فانطلق إلى المســـجد، واردد علىَّ جوارى علانية كما أجرتك علانية..

* * *

«فـــى صـحن الكعبة.. يدخـــل الولـيد ومعـه ابن مظعون».

الوليد بن المغيرة : (مناديًا) يا معشـــر قريش.. يا أهل مكة.. هذا عثمان بن مظعون قد جاء يرد علىَّ جوارى..

عثمان بن مظعون : (مؤمنًا) صدق والله الوليد بن المغيرة.. وقد وجدته والحق يقـــال وفيًا كريـم الجـوار.. ولكـن أحببت ألاّ أســتجير بغير الله.. وقد رددت على ابن المغيرة جواره..

«يظهر الاســتياء علـى القرشـــيـــن وتســـرى بينهـــم همهمـات غاضبة..».

لبيد بن ربيعة : ألا كل شىء ما خلا الله باطل.. (يتضاحك بعض القرشيين).

عثمان بن مظعون : صدقت يا لبيد..

لبيد بن ربيعة : وكل نعيم لا محالة زائل..

عثمان بن مظعون :كذبت.. نعيم الجنة لا يزول!!

لبيد بن ربيعة : (صائحًـــا فى غضب) يا معشـــر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟؟!!

قرشـــى : لا عليك يا لبيد (فى ســخرية) ماهو إلا ســفيه فارق ديننا ودين آبائنا.. فلا تجدنّ فى نفسك من قوله..

عثمان بن مظعون : (مقاطعًا فى ثبات) إنما السفيه أنت.. والكافر أنت وأمثالك من أهل الكفر والشـــرك.. والله لقد أعزنا سبحانه بدين لن نخسر به أبدًا..

«يســـود الهـرج بيـن القرشـــيـن يتكاثـرون علـى عثمـــان بن مظعون يوسعونه ضربًا فتصاب عينه إصابة بالغة..».

أحد القرشيين : (متشفيًا) هـذا جزاء من يتطاول علينا ويسفه ديننا.. (فى

سـخرية لابن مظعون) لعل صاحبك محمدًا يأتى لك بعين بدل التى فقأتها لك (يتضاحك القرشـيون سـاخرين) عليك أن تحمـد ربك الذى تعبـده.. فقـد كان يمكن أن تفقأ عينك الثانية..

عثمان بن مظعون : سترون إن شاء الله أى منقلب تنقلبون...

الوليد بن المغيرة : (فى شماتة يحاول أن يخفيها) أمـا والله يـا ابن أخـى لقد كانت عينك عما أصابها لغنية.. (تزداد شماتته) لقد كنت فى ذمة منيعة!!

عثمان بن مظعون : (فى ثبـات وإصرار) بل والله إن عينـى الصحيحة لفقيرة إلـى مثـل مـا أصاب أختها فى الله.. وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس!!!

الوليد بن المغيرة : (ساخرًا) هلم يا ابن أخى.. إن شئت فعد إلى جوارى..

عثمان بن مظعون : والله لا يكـون ذلك أبـدًا.. إننى فى جوار من هو أعز منك وأقدر..

«ينصـرف عثمان فى ثقـة ويقين وهو يرتجز أبياتًا من الشعر».

* * *

«مكـة.. قريـش فـى ثورتهـا وتخبطها، لا تفتأ تطارد المسـتضعفين من المسلمين.. تنزل بهم مـن العـذاب ألوانًا.. تطارد فيمن تطارد ياسـر ابـن عمار وزوجه سميـة وولدهما عمار.. يذهب أبـو جهل فى نفر من السـفهاء فيحرقون دارهم تحريقًـا ويخربونهـا.. لا يكـاد يمضى يـوم إلا ويأخذونهم إلى رمضاء مكة تحت وهج الشـمس

الملتهبة.. يتناوبون ضربهم بالسياط، ويضعون على بطونهم الأحجار وعلى أطرافهم جمرات نار.. بطحاء مكة، ياسر وزوجه سمية وولدهما عمار عراة مجردون من ملابسهم، ملقون في الشمس المحرقة، ترتفع أناتهم مع ضربات السياط.. وهم يرددون: أحد أحد.. أحد أحد.. الطواغيت يحرقون عمارًا بالنار.. يمر النبى عليه السلام ومعه عثمان بن عفان..».

النبى : يا نار كونى بردًا وسلامًا على عمار، كما كنت على إبراهيم..

ياسر : يا رسول الله، الدهر هكذا!

النبى : (لآل عمار) اصبروا.. اللهم اغفر لآل ياسر..(مواسيًا).. صبرًا آل ياسر، إن موعدكم الجنة!

* * *

«بعد ساعات.. ذات المشهد.. يقترب أبو جهل من سمية أم عمار فيركلها، فلا تقول سوى: أحد أحد».

أبو جهل : (لسمية متوعدًا) لا تزالين حتى تكفرى بمحمد!

سمية : (وهى تقاوم آلامها) تعسًا لك، وتعسًا لآلهتك.. الموت أحب إلىّ مما تدعونى إليه!

«يزداد هياج أبى جهل، فيتناول حربته ويغمدها فى سمية بطعنة قاتلة.. تئن أنة هائلة يخمد بعدها جسدها وقد صعدت روحها إلى بارئها ..الطواغيت لا يرعوون.. ولا يتوقفون..

تتزايد ضربات السياط وقذائف الأحجار، فما يزيد ياسر وعمار على ندائهما الأثير: أحد أحد.. ينقض أبو جهل على ياسر ضاربًا إياه أشد الضرب حتى شهق شهقة هائلة لحقت بعدها روحه بروح سمية..».

* * *

«بعد فترة.. وقريش على حالها لا تكف عن ملاحقة عمار بالإعنات والعذاب والنكال.. النبى فى بعض أصحابه.. يلحق بهم عمار فى حالة يرثى لها من الوهن والضعف وآثار التعذيب بادية من تحت الأسمال الممزقة على أجزاء جسده.. ينظر إليه النبى فيلحظ ما به من روع شديد، فيسأله حانيًا..».

النبى : ما وراءك ياعمار؟!

عمار : شر!! يا رسول الله قد أخذونى فغطونى فى بئر ميمون و...

«عمار تغالبه عبراته.. يبكى وتنثال دموعه.. يقترب منه الرسول فيمسح عينيه فى رفق..».

عمار : (وقد ازداد تأثره) ما تركونى يا رسول الله حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير!

النبى : فكيف تجد قلبك؟

عمار : مطمئنًا بالإيمان.

النبى : (حانيًا مترفقًا) فإن عادوا لك فعد لهم بما قلت..

«يهدأ عمار، ويفرخ بعض روعه.. النبى

يطيب خاطره فى حنو بالغ..».

* * *

«محمد عليه الصلاة والسلام، فى خلوته يتعبد ويتهجد.. يشكو إلى الله ما ينزل بالمسلمين من عذاب، يوافيه جبريل عليه السلام بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾[سورة النحل :الآية: ١٠٦]

(يرتفع الوحى)

* * *

«على مقربة من البيت العتيق.. يبدو على مرمى البصر حمزة بن عبد المطلب، رجلاً فتيًّا، حسن الشعر والهيئة، راجعًا من قنصه، متوشحًا قوسه.. يشرع فى الطواف حول الكعبة كما اعتاد عند الرجوع من صيده.. تعترضه جارية: مولاة لعبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب..».

جارية : (منادية وهى تلهث) يا أبا عمارة.. يا أبا عمارة..

حمزة : (يلتفت وهو يقترب) لبيك.. ما تريدين؟..

الجارية : لو رأيت يا أبا عمارة ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبى الحكم عمرو بن هشام وأصحابه..

حمزة : (قلقًا) أأصابه بمكروه؟!..

الجارية : وجـده هـا هنا جالسًا، فآذاه، وسبه، وبلغ منه ما يكره.. ثـــم انصرف عنـــه فعمـد إلـى نادى قريـــش عند الكعبة فجلس يتضاحك معهم على ابن أخيك!!

حمزة : (ثائرًا) تبًا له..

«..ينطلق غاضبًا تجـــاه نادى قريش لا يلوى على شيء!!».

* * *

«منتدى قريش عند الكعبة.. لفيف من طواغيت قريش يتسامـرون ـ بينهم أبو جهل.. يقتحم حمزة عليهم مجلسهم، فيبادر أبا جهل بقوسه..».

حمزة : (وهو يضرب أبا جهل بقوسه) خذ.. خذ يا عدو الله.

«أبو جهل يصيح ألمًا وقد أصيب إصابة شديدة وأخذ الـدم يسيـل من وجهه»

(مقرعًا) أتشتم محمـدًا وأنـا على دينه أقول ما يقول.. ألا فرد علىّ ذلك إن استطعت..

«ينفر رجال من بنى مخـــزوم، يهبون لنصرة أبى جهل.. أبوجهل يكفهم..».

أبو جهل : (مهدئًـــا لهم) دعوا أبا عمارة، فإنى والله قد ســـببت ابن أخيه سبًا قبيحًا!

* * *

«بعد فترة.. حمزة – وقد خلا بداره إلى نفسه».

حمزة : (محدثًا نفسه) ما هذا الذى فعلت يا حمزة.. أنت سيد قريش، فكيف تترك دين آبائك؟ للموت خير لك مما صنعت.. كيف أعلنت وهكذا بسرعة صبوءك عن دين الآباء والأجداد؟

(مستأنفًا لنفسه) هيه، الغضب والحمية لابن أخيك؟!!.. اللهم إن كان رشدًا فاجعل تصديقه فى قلبى، وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجًا! (مستدركًا) ولكن ماذا فى ذلك؟.. والله ما علمته إلا أمينًا صادقًا لا يقول إلاّ حقًا.. (مستدركًا) ولكن أهكذا أسلم؟!..

* * *

«اليوم التالى.. حمزة فى صحن الكعبة.. يبدو مشغولاً مهمومًا مترددًا.. يسائل نفسه، فلا يهتدى إلى قرار.. يزمع أمره، ويغادر الكعبة ميممًا شطر محمد..»

«النبى وسط أصحابه.. يلحق بهم حمزة..».

حمزة : (مبتدرًا النبى) يا ابن أخى، ها قد رأيت أنى قد وقعت فى أمر لا أعرف مخرجًا منه وإقامة مثلى على ما لا أدرى ما هو: أرُشْدٌ أم هو غىٌّ شديد.. فحدثنى يا ابن أخى فقد اشتهيت أن أسمع حديثك..

«النبى عليه السلام يقبل على حمزة، يذكره، ويعظه، ويخوفه ويبشره.. وحمزة مطرق منصت كأن على رأسه الطير.. لا يزال محمد بعمه حتى يلقى الله فى قلبه الإيمان بما قاله النبى..».

حمزة : (وقد غمره الإيمان) أشهد أنك لصادق.. أشهد أنه لا إله إلاّ اللّه، وأنك رسوله..، فأظهر يا ابن أخى دينك فواللّه ما أُحبُّ أن لى ما أظلته السماء وأنى على دينى الأول. امدد يدك يا ابن أخى أبايعك..

«يكبر المسلمون فرحين بإسلام حمزة ...».

* * *

«مكة.. النبى فى خلوته يتعبد ويتحنث – يتأمل متعجبًا فى لجاجات قريش وعناد الكافرين.. وتجبرهم وصلفهم.. يتنزل عليه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾ [سورة البلد: الآيات: ١ – ٢٠]

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبـى عليه السـلام يعانى سـفه قريش من المجاهرة فى الصلاة وتلاوة القرآن، بينما يعانى المتشوقون إلى سماعه من المخافتة بالتلاوة والصلاة لأنها لا تمكنهم من اسـتراق السمع.. كان النبى إذا رفـع صوته بالقرآن سمعه المشـركون فعرضوا به وبالقرآن، أو تفرقوا وأبوا أن يسـمعوا.. بينما يستشـعر الذين يرغبون فى الاستماع إليه حرجًا وخوفًا من طواغيت الشرك، فيلجأون إلى استراق السـمع.. بيـد أن مخافتـة الرسـول ـ بالتلاوة تحول بينهم وبين الاسـتماع إلى شىء من قراءته فى صلاتـه.. فماذا يفعل، هـل يجاهر بصلاته وتلاوته، أم يخافت بها اتقاءً لأفاعيل وسفاهات أهل الشـرك.. إذ النبى عليه السلام فى حيرته يتنزل عليه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو علـى محمـد) ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾[سورة الإسراء: الآيات: ١١٠، ١١١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. وقد جرفتها بلبلة ضخمة، وإرهاصات كبيرة... نظر النـاس فوجدوا من مظهر القمر ما

لم يستطيعوا له تفسيرًا.. أوغل الكفار ورؤوس الشرك فى الحديث وفى التفاسير والتعليلات.. لا يستقرون على شىء.. هل انشق ؟.. هل كسف أو خسف ؟! فما بال هذا الأمر العجيب ! ! أهو ظاهرة كونية لا يعرفون لها سببًا؟ ! !.. أم أن محمدًا سحرهم؟ ! ! أم أن هذا من سحر ابن أبى كبشة.. يجتمعون وينفضون.. يقدمون ثم يحجمون.. ينسبون الظاهر أمامهم إلى سحر محمد مرة، مع أنه يؤكد لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا عمل فيهما لبشر.. وينسبونه مرة إلى سحر ابن أبى كبشة، وهو رجل من خزاعة كان قد خالف قريشًا فى عبادة الأوثان.. فى ليلة من ليالى مكة، تفرق الكفار وأهل مكة.. يتخذ كل لنفسه موقعًا يتطلعون منه إلى السماء وينظرون إلى القمر.. لا يلتفتون إلى ما فيه من معجزة دالة على الخالق المبدع، ولكنهم يحتارون ويوغلون فى الحيرة وإطلاق الأحكام والتفاسير والتعليلات ! ! ».

قرشى : (لآخر وهو ينظر إلى السماء) أرأيت.. إن القمر مفلوق فلقتين.. ها هى فلقة على هذا الجبل.. والأخرى هناك..

قرشى ثان : سحرنا ابن أبى كبشة.. ألم يخالف ديننا ويهجر عبادة ما نعبد..؟ ! !

قرشى ثالث : بل هو من سحر محمد.. (مستأنفًا) لقد سحرنا محمد؟ !

شيخ : (فى وقار) ما لهذا وما للسحر؟ ! ألم تسمعوا القادمين إلى مكة.. لقد رأوا بظاهرها ما نراه هنا.. إذا كان محمد قد

سحرنا، فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم!

قرشى آخر : أترى القمر قد كسف كما تكسف الشمس؟!

القرشى الأول : قلت لكم إنه من سحر ابن أبى كبشة !

القرشى الثانى : بل سحرنا محمد!!

الشيخ : انظروا ما أتاكم ويأتيكم من السفار.. سمعت بعضهم يقولون إنهم من خارج مكة يرون ما نراه، فهل سحر محمد الناس جميعًا؟!.. هاكم انظروا.. رهط قادمون من السفار.. هلموا فاسألوهم..

«تقترب قافلة لبعض القادمين من السفر، يبادر إليهم القرشيون سائلين.. فلا يفوزون منهم بشىء سوى أنهم رأوا من أمر القمر ما يراه أهل مكة الآن.. يحتدم الجدل وتتفشى البلبلة.. يذهب الكفار فى تعليلاتهم مذاهب شتى، ويعجزون فى شتاتهم عن رؤية الآية الكونية للخالق البارئ.. بديع السموات والأرض..».

* * *

«منتدى قريش بظاهر الكعبة.. كبار قريش مبلبلون يتحدثون بما يتحدث به الناس.. لا يستقرون على رأى..».

أحدهم : (للآخرين) هل تحدث محمد بأنه الفاعل؟!

آخر : وأيم الحق لا.. ما سمعناه يقول إلا أنه ليس إلا بشرًا رسولا..

«يمتد الحديث والجدل.. لا يجتمع كبار

قريش ولا النـاس علـى رأى»

* * *

«محمـد صلـى الله عليه وسـلم.. فى خلوته وتحنثـه، يعجب من أمر هـؤلاء الذين يعجزون عـن رؤية الله تعـالى فى كونه، وينغمسـون فى ترهات وأباطيل تصرفهم عن الحق الواضح كفلق الصبح.. إذ هو عليه الصلاة والسلام فى تأملاته، يلم به الروح الأمين فيلقى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو علـى محمـد) ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ

كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ
مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ
كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾
كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي
ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ
﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ
فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ
مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾
وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ
﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا
فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ
فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٌ مُّسۡتَقِرّٞ
﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن
مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ
أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[سورة القمر: الآيات: ١ ـ ٤٢].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة وقد مضت أيام على محاولات قريش المتتالية محاصرة الدعوة والنبى.. وذهاب وفشل ريحهم فى ابتداع تهمة يرجمونه بها.. فلا استقام لهم أنه كاهن، ولا استقام لهم أنه

مجنون أو ساحر.. ولا نجحت سفارتهم إلى أبى طالب لتوسيطه للتقارب مع محمد.. يوم خرجوا من دار أبى طالب خائبين متعجبين لا يستوعبون كيف يعبدون إلهًا واحدًا.. إن هذا – فيما قالوا – لشىء عجاب!!

«محمد فى خلوته يتعبد، تلم به أطياف أباطيل المشركين وتعجبهم مما لاعجب فيه.. يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ ﴾ [سورة ص: الآيات: ١ ـ ٨].

(يرتفع الوحى)

* * *